

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٣)	محرم الحرام ١٤٣٢ هـ
العدد الأول	يناير ٢٠١١ م

المشـرف العام

عبـد اللّٰه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـــة** بی ١ / ١٨ جی، ريوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتويات العدد

العنوان	الصفحة
الافتتاحية:	
١ – بداية العام ومسؤولية الدعاة	
أسعد أعظمي بن محمد أنصاري	٣
الدعوة الإسلامية:	
٢ – صراع بين الحق والباطل	
الدكتور مقتدى حسن محمد ياسين الأزهرى رحمه الله	٧
الفقه الإسلامي:	
٣ – الصلاة على النبي ﷺ وفضلها	
الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفورى رحمه الله	١٢
تفنيد المزاعم:	
٤ – سقطات هشيم المحتظر	
د. عبد العليم عبد العظيم البستوي	١٥
التشريع الإسلامي:	
٥ – مصدر التلقي لدى المنهج السلفي	
الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد	٢٤
التوجيه الاجتماعى:	
٦ – تأديب الزوجة بين التعدي والمشروع	
د. نايف بن أحمد الحمد	٢٩
آداب إسلامية:	
٧ – آداب الصلاة	
الشيخ لطف الحق المرشد آبادى	٣٨
السير والتراجم:	
٨ – مؤلفات ومقالات في سيرة الإمام البخاري رحمه الله	
محمد بن ناصر العجمي	٤٣
الأدب العربي:	
٩ – قضية الانتحال في الشعر العربي	
وسيم المحمدي	٤٨

الافتتاحية

بداية العام ومسؤولية الدعاة

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

شهر محرم مطلع الشهور القمرية ومفتتح العام الهجري، يهل على المسلمين كل سنة مصحوبا بذكريات، ومذكرا بمسؤوليات، يعيد في ذاكرة المسلمين وقائع هجرة نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه البررة رضوان الله عليهم، وتضحياتهم في سبيل الدين. وانقضاء عام طويت صحائفه ودخول عام جديد بصحائف جديدة له إيحاءاته ودلالاته، إنه يثير العزائم، ويبعث على الأمل، ويذكي الهمم، وينفث الحيوية والنشاط، ويؤكد على مواصلة الجهد، وهكذا كل أمة تودع عامها المنصرم وتستقبل عامها الجديد بهذا الشعور وبهذا النشاط، وبهذه العزائم.

ولكننا نرى في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية أنها تدخل في عامها الجديد بعواطف الحزن والغم وبأحاسيس الانهزام والانحطاط، تستقبل أول الشهر وأول العام برايات وملابس سود،وبوجوه كئية ونفوس حزينة، يسيطر على جميع أعمالها وتصرفاتها الحزن والكآبة، ويستولي على مشاعرها الشؤم والياس، إنهم يقيمون حفلات ويحيون — كما يزعمون — ذكرى مقتل الحسين رضي الله عنه وأصحابه، ويظهرون ولاءهم لهؤلاء و براءتهم من الذين باشروا قتلهم أو تسببوا له، كذلك يأتون خاصة في أيام وليالي العشر الأ ول من الشهر بمسلسل من الأعمال كلها أو جلها لغو وزور وكذب، والله المستعان.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يحتفلون في اليوم الثالث من مقتل هؤلاء، ثم في تمام يوم الأربعين، ثم في تمام يوم الخمسين، ثم في تمام يوم الستين، حيث ينظمون المسيرات ويتجولون في الشوا رع والطرقات مع هتافات ونعرات، فيها إبداء الحزن والألم على شهادة شهداء كربلاء، وفيها السب والشتم واللعن على يزيد بن معاوية وعلى غيره ممن يتهمونهم بالقتل، ولا ينتهي هذا المسلسل بمرور ستين يوما على تاريخ الشهادة، بل هناك احتفالات واجتماعات تعقد بين حين وآخر طول السنة باسم هذا أو ذاك ممن قتل في ذلك اليوم، أو باسم جميعهم.

يفعلون كل هذا ثم يعتقدون بذلك القربة إلى الله تعالى وتكفير السيئات، ولم يعلموا أن عملهم هذا مما يوجب الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى، قال جل شأنه:

(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا – الكهف: 103 – 104)

وقال:

(أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء – فاطر: 8)

هذه الأعمال بل هذه المهلكات يؤتى بها باسم الإسلام، ويعمل بها باعتبارها دينا وشريعة، والناس من غير المسلمين يحسبون هذه الأعمال من صلب الإسلام، وهذه المناسبات مناسبات إسلامية، بل يعدونها أعيادا إسلامية كعيدي الفطر والأضحى سواء بسواء، ورجال الحكومة المكلفون بالاحتفاظ بالأمن الداخلي يقومون باتخاذ كافة الإجراءات لتمضي هذه "الأعياد الإسلامية" في جو من الأمن والسلام، لأن هذه "الأعياد" تسبب – أحيانا – إشعال نار الاضطرابات الطائفية والتوتر الأمني في بعض المناطق.

إن أغرب ما في الأمر مشاركة بعض الطوائف السنية مع فرق الشيعة في إحياء هذه البدع والمنكرات. لأن كل من له أدنى إلمام بمعتقدات المسلمين وبالخلفيات التاريخية يدرك تمام الإدراك أن الأعمال المذكورة كلها من خصائص الرافضة ومن معتقداتهم التي ينفصلون بها عن أهل السنة، ولم يكن هذا سرا أقوم بإفشائه، أو ذكرته كسبة على القوم، أو قصدت بذكره إثارة الطائفية أو الحزبية، بل هو واقع مشهود، وحقيقة قائمة. فانشقاق المسلمين إلى سنة وشيعة معلوم لدى الجميع، ولم يكن هذا الانشقاق والتفرق إلا على أسس ومبادئ، اختص بها كل فريق لا يشاركه فيها الفريق الآخر، وإحياء ذكرى مقتل الحسين رضي الله عنه في كل عام، والذي يشتمل على كثير من البدع والمنكرات والضلالات إنما هو من خاصة معتقدات الشيعة وأعمالهم، لا يرضى بها أهل السنة بكافة طوائفهم، لأن هذه الأعمال فيها كثير من الشرك، وفيها كثير مما نهى عنه الشرع القويم من الأقوال والأفعال، وفيها

سب السلف الصالح من الصحابة والتابعين بل والخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين، الذين عن طريقهم وصل إلينا هذا الدين، رضوان الله عليهم أجمعين.

إن أهل السنة يرفضون كل مظاهر الشرك، ويرون تحريم النياحة وشق الجيوب ولطم الخدود والدعاء بدعوى الجاهلية، ويعتقدون تحريم سب جميع الصحابة ووجوب الإمساك عما شجر بينهم، والدعاء لهم والترحم عليهم والترضي لهم، وكتاباتهم وفتاواهم حول هذه الأمور أشهر وأكثر من أن تحصى، ولا يوجد بينهم في هذا الشان خلاف يذكر، ومع كل هذا وذاك يشاهد المشاهدون في كل عام أن عددا كبيرا من عامة أهل السنة بل وخاصتهم أيضا يشاركون في الاحتفالات والطقوس المشتملة على ما ذكر من الأمور المنهي عنها، ويأتون بأعمال وأقوال باسم الدين والعقيدة هما بريئان منها براءة الذئب من دم يوسف الصديق عليه السلام.

يجتمع هؤلاء وأولئك في الأيام العشر من شهر محرم كل عام على أعمال وطقوس مضحكة مبكية، من شق الجيوب ولطم الخدود وضرب الرؤوس وجرح الصدور والظهور في مسيرات تمر بالطرق والشوارع العامة يشاهدها المشاهدون من المسلمين وغير المسلمين بذعر وقلق، ويصاحبها مندوبو الإعلام بكافة أنواعه ليسجلوا هذه المناظر المخيفة، ثم يبثوها من منابرهم الإعلامية باعتبارها احتفالات "إسلامية" وأعياد "دينية". وكيف نخطئ مشاهدي هذه المناظر إذا قرروا بلسان حالهم أو مقالهم أن إسلام المسلمين يحثهم ويحبذهم على ارتكاب الأعمال البشعة والتصرفات الوحشية والأمور المنكرة عقلا وشرعا.

إن عقلاء الأمة وعلماءها وقادتها مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالتصدي لهذه الظواهر المخجلة، والدعاة خاصة تزداد مسؤوليتهم في هذه الأيام لبيان موقف الشرع من هذه الأعمال من غير خوف لومة لائم، وكذلك يجب عليهم عرض كتابات وفتاوى علماء الأمة من السلف والخلف على المدعوين حول هذه الأمور في كتاباتهم وخطبهم ومحاضراتهم ودروسهم ولقاءاتهم ، وكذلك في وسائل إعلامهم التي يستطيعون الوصول إليها.

إن ما ثبت في شرعنا بخصوص هذه الأيام بل بالأخص يوم العاشر من هذا الشهر هـو أنه يوم فرح وسرور، لأن الله سبحانه منّ في مثل هذا اليوم على نبيـه موسى عليـه السلام وقومه بني إسرائيل بإنجا ئه وإياهم من شدائد فرعون ومظالمه، وأغرقه وجنـوده في البحـر، وأراح الناس من شره وظلمه، وتفاصيل ذلك مبثوثة في آيات قرآنية في مواضع مختلفـة مـن القرآن. ولاشك أنها مناسبة عظيمة ومظهر من مظاهر عناية الله بأنبيائه وعباده الصالحين، وفيها من الدروس والعبر الشيء الكثير الذي ينبغي أن نقف عنده.

وكان اليهود يصومون في ذلك اليوم شكرا لله عـز وجـل علـى هـذه النعمـة، وعنـد ما أخبر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بذلك قال: نحـن أحـق بموسـى مـنكم، فـصام ذلـك اليوم وأمر بصيامه.

أين هذه القصة التاريخية الثابتـة في اهتمامـات العلمـاء والـدعاة في خـضم الروايـات والقصص التي يعرضونها على مسامع الناس مـن غـير تمحـيص بـين سـقيمها وصـحيحها، ويطوفون بهم في أودية ملؤها هموم وأحزان ودموع وآلام.

يجب علينا أن نعـود إلى رشـدنا، وأن نفكـر بعقولنـا، ونقـرر مـصيرنا، بعيـدا عـن التقليد الأعمى وعن الجري وراء عادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان.

ونحن نقر ونعترف بأن النبي عليه الصلاة والسلام قد بلغ الرسـالة، وأدى الأمانـة، وجاهد في الله حق جهاده، وما ترك خيرا إلا ودلنا إليـه، ولا شـرا إلا وحـذرنا منـه، وقـد صرح بقوله: " قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك".

إن الدين أمانة، والعلـم أمانـة، والـدعوة مـسؤولية، والجميـع يقـف بـين يـدي رب العالمين، ويحاسب على ما قدم، إن خيرا فخير وإن غيره فغيره.

فلنكن صرحاء مع ديننا ومع دعوتنا ومع ما ندعو إليه وما ننهى عنه، والتوفيق بيـد الله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

الدعوة الإسلامية

صراع بين الحق والباطل

الدكتور مقتدى حسن محمد ياسين الأزهري رحمه الله

قد شهد العالم الإنساني منذ القدم أنواعا من الصراع بين الحق والباطل، بين العلم والجهل، بين العدل والظلم. وكان الحق في هذا الصراع يستند دائما إلى الفطرة الإنسانية، و يهدف إلى تزكية النفس وتربيتها على حب الفضائل والتطلع إلى المعرفة والكمال، حتى يمكن للإنسانية إحراز النصر والفلاح في الدنيا والآخرة. أما الباطل فمطيته الجهل والضلال، وهو يسعى دائما لأن يجعل الإنسان عبدا للمطامع والأهواء، ومتحررا من القيود والواجبات التي فرضها الدين. والإنسان بعد وصوله إلى هذه الدرجة المنحطة يتجرد تماما من الفضائل والمعاني التي جعلته جديرا لأن يكون نائب الله وخليفته في الأرض، يدعو إلى هداية الله، وينفذ أحكامه على أساس من العدالة والتقوى، وليس امتداد هذا الصراع واستمراره إلا لأن تسنح الفرصة أمام الإنسان للعمل والا بتلاء، فيختار سبيله إما إلى السعادة وإما إلى الشقاوة.

والإسلام في هذا الصراع يعزز جانب الحق ويساند أهله، إنه يبرز المواهب الكامنة في النفوس الإنسانية ويستخدمها في إرشاد الناس وتبصيرهم جادة الحق والصواب. بينما نرى أن قوى الشر وأنصار البا طل يقفون دائما إلى جانب العصاة والمتمردين، يحثونهم على العصيان والإفساد في الأرض، ويستخدمون كل ما يملكون لإ طفاء النور الذي تكفل الله تعالى إتمامه وحفظه إلى يوم الدين.

وأمثلة هذا الصراع كثيرة في تاريخ الأمم والرسل، والأنبياء عليهم السلام قد واجهوا مقاومة شـ ديدة من المبطلين والمغرضين الذين نصبوا أنفسهم لحماية الباطل والقضاء على الحق، ولكن جهودهم لم تثمر، ومساعيهم لم تنجح، وكانت كلمة الله هي العليا، وعباد الله الصالحون هم الغالبون: " سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا".

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قد لاقى مثلما لاقاه الرسل قبله بل أكثر، إنه دعا الناس إلى عبادة الله وحده، ونبذ الأصنام والأوثان التي كان المشركون يعبدونها ويقدسونها تقديس الحب والعبادة، ولكن المبطلين استغربوا هذه الدعوة، وأصروا على إنكارهم، إنهم

قالوا: "أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشيء عجاب، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق".

والرسول عليه السلام كان يشرح لديهم حكمة الله في الخلق، ويقرر أن الناس يبعثون بعد الموت فكانوا يقولون: " أ إنا لمردودون في الحافرة، أ إذا كنا عظاما نخرة". وكذلك كانوا يستغربون أن يبعث واحد منهم رسولا فيهم يعلمهم الكتاب والحكمة: "بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب، أ إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد".

والرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن مجرد داع أو خطيب حينما كان يشرح لديهم المبادي الأساسية للإسلام من التوحيد والبعث والنبوة، بل كان يبسط أمامهم من الأدلة ما يكفي لإقناعهم، لو تجردوا من العصبية والزيغ في التفكير. إنه قد لفت أنظارهم إلى آيات الله في الكون، وأراد أن يبين لهم نواميس الطبيعة حتى ينتهي استغرابهم ويرجعوا إلى الإيمان بالله العلي الحميد. ولكن الظالمين تمادوا في غيهم وعصيانهم إلى أن قالوا: "قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب".

وليس هذا الرد في تاريخ الأديان غريبا أو شاذا أو مصطنعا، بل هو نتيجة لازمة للعقم الفكري الذي منوا به والحالة المنكرة التي وصلوا إليها: "لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل".

والآية الكريمة تتضمن نوعا من الزجر والتوبيخ، وكذلك تدل على أن الكافرين بالله تعالى وآياته لا يمكن لهم فهم تعاليم القرآن وفلسفته في الحياة، لأنه ينظر إلى حقائق الأشياء كما هي، ويقيم الأ دلة والبراهين على مقرراته في ضوء المنطق والبيان. ولكن الذين يتبعون الشهوات ويجرون وراء التقاليد والعادات، يقيسون الأمور بأهوائهم، ولا يحتفلون بالعقل السليم وما يقتضيه. إنهم قد فقدوا الفطرة السليمة التي تهدي إلى الحق وترجع الأمور إلى نصابها، ورضوا باتباع آ بائهم ومجاراة بيئاتهم، ولذلك يعسر عليهم فهم ما يدعو إليه القرآن من اتباع الحق وترك الأصنام والأوثان.

ويدلنا التاريخ على أن الذين أنكروا دعوة الحق ثم كفروا بها، لم يكونوا من أصحاب العقل والفطرة السليمة، بل كانوا عبيد الأهواء ومؤثري اللذات، كانوا يتصيدون الفرص لإشباع رغباتهم، ويحتالون للخمر والميسر وقتل الأنفس وغيرها من المنكرات بشتى الحيل.

ولم يكن أحد في ذلك المجتمع يجترئ على إنكار هذه المنكرات ومنع الظالمين من الظلم. كان الناس يزعمون أن كثرة المال تجلب رضا الله، وطريقة الآباء هي الطريقة المرضية عند الله.

والرسول صلى الله عليه وسلم كان قد أشار إلى هذا الصراع المستمر بين الحق والباطل فقال: " بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء".

وليس معنى هذه الغرابة إلا أن الإسلام جاء بنظام لم يكن يعرفه هؤلاء المبطلون، إنه كان يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، كان يحدد لهم منهجا للحياة يغاير ما ألفوا من الفوضى والإباحية، وكان يرسم لهم خطة تقضي على الظلم الاجتماعي والفساد السياسي والاقتصادي. ولكنهم كانوا يريدون البقاء في الظلام الذي أحاط بهم، وفي الجهل الذي أفسد تفكيرهم، فكانوا يسخرون من الذين آمنوا ويعتبرونهم أضعف الناس وأهونهم على نفوسهم. والذين صبروا على الإسلام في هذه البيئة الظالمة والجو المعادي هم أصحاب الفضل والدرجات العليا، وإياهم عنى الحديث الشريف الآتي: "فطوبى للغرباء". وهم غرباء لأن الناس ينكرونهم لمعرفتهم دعوة الحق وإيمانهم بها.

ثم هناك مظهر آخر لغربة الإسلام وهو أنه يراقب الإنسان في جميع الأحوال ويأمره بالتقوى والعفاف وحسن الخلق، ومن أهدافه أن يخضع الإنسان تماما لمبادئ الإسلام وأصوله حتى لا تبقى ناحية من نواحي الحياة يتصرف فيها الإنسان على حريته ويفعل ما يشاء. والمبطلون كانوا ينكرون هذا الموقف من الإسلا م، ويزعمون أن الدين من طبيعته أن لا يتدخل في جميع شئون الحياة، ولا يفرض على الإنسان السلطة الكاملة التي تحدد حريته، وتهيمن على إرادته.

ومع ذلك يشهد التاريخ الإسلامي أن الرسول عليه الصلاة والسلام ظل مستمرا في دعوته، ومقاوما للاتجاهات المعادية لهذه الدعوة إلى أن تمت سيطرة الإسلام وتكونت حول الرسول جماعة لرجال الحق الذين نشأوا في التربية الصالحة، واستهدفوا لإعلاء كلمة الله وإقامة العدل بين الناس، انهم لم يفرضوا على العالم سلطتهم فحسب، بل قضوا على الاتجاهات الفاسدة والتفكير الجاهلي الذي كان يقود العالم إلى الدمار والهلاك. إنهم ملكوا القلوب والعواطف أكثر من ملكهم الأراضي والعواصم. كانوا أول من وضع قوانين حكومية

ضمنت للشعوب المحمية الحرية الكاملة لسلوك طريقها الخاص في الحياة والاتجاه الذاتي المختار، وضمنت لهم حقوقهم المدنية وحرياتهم، وقد فرض المسلمون على أنفسهم قوانين إنسانية للحرب حتى عند ما يجاوز خصومهم الحدود، وينسون جميع الواجبات تجاه غيرهم. وكذلك تميز المسلمون بالتجرد عن التعصبات الجنسية واللونية، فلم يحتقروا مرة إنسانا للونه أو لأرومته. وقد اتفق لهم الاتصال بشعوب متأخرة، فنهضوا بها إلى المستوى الإسلامي بدل إنكار حقوقها الآدمية، كما تفعل أمم أخرى تبذل جهدها في قهر الشعوب المستضعفة واستغلال مواردها الاقتصادية ومواهبها الإنسانية، وما أدى الحكم الإسلامي ولا مرة إلى الفقر الاقتصادي للشعوب المحكومة، أو إلى طمس ثقافتها، ولا حتى إلى التدهور في صفاتها الحربية والسياسية. بل على العكس من ذلك ترعرعت تحت رعاية المسلمين وتأييدهم الفعال تجارة غير المسلمين، وترعرعت الثقافة غير الإسلامية. كان المسلمون قد أحدثوا تحولا كبيرا في اتجاه وتفكير الشعوب التي اتصلوا بها، حتى اضطرت هذه الشعوب إلى الإيمان بالإسلام ونظامه المثالي الذي أخلص البشرية من العوز والبؤس والتفرقة والطغيان. والذين لم يؤمنوا بالإسلام لسبب من الأسباب، ولم يتمكنوا من اعتناق هذا الدين ولم يقولوا بألسنتهم "لا إله إلا الله" كانت قلوبهم معترفة بتأثير الإسلام وتفوق نظامه على النظم والأديان التي سبقته. إنهم كانوا يعرفون أن هذا الدين أساسه على الإيمان والعلم والعدل والتقوى وأنه يدعو إلى الخير ويفتح له الأذهان والقلوب، ينشر بين الناس نور العلم، ويرسم لهم طريقا في الحياة ينظم جميع وجهات حياتهم وشواعرهم. وهذه الحقائق من شأنها أن تقنع العالم بأن المسلمين آمنوا دائما بالقيم الإنسانية وحافظوا عليها في العالم، وفي هذا الوقت حينما انحط شأن المسلمين وضعفوا وأصبحوا عاجزين فقدت تلك القيم تأثيرا في العالم.

وقد جاء هذا الضعف في المسلمين بسبب ابتعادهم عن الدين وتخليهم عن مثله العليا التي ميزته عن الأديان الأخرى. ومن ناحية أخرى حينما تم اتصال الشرق بالغرب أدرك الغربيون أن الإسلام يمكن أن يلعب دورا مهما في العصر الحاضر، وأن المسلمين – إذا تمسكوا بتعاليم الإسلام – يتيسر لهم جدا أن يقودوا العالم، ويملكوا زمام الأمور دون

مشاركة أو منازعة. ومن هنا بدؤا محاولات خفية وظاهرة، وبذلوا جهودا كبيرة لإبعاد المسلمين عن الإسلام وقيمه المثالية، ولخلق الضعف والتخاذل في نفوسهم حتى لا يتمكنوا من أداء رسالتهم نحو الإنسانية في العصر الحاضر، ولا تسنح لهم الفرصة للتعريف بالنظام الإسلامي الذي يؤمنون به.

وهذه الجهود المعادية قد نجحت، وتحققت معظم أهداف الأعداء إذا لم نقل كلها. فقد نرى أن نظام الحكم الإسلامي صار حبرا على ورق في العصر الحاضر، ولم توفق الدول الإسلامية – إلا ما شاء الله منها – في تطبيقه وتنفيذه على الشعب، وأكثر من ذلك أن الناس يشكون في صلاحية هذا النظام وخلوده، ويزعمون أن العصر الحاضر لم يبق صالحا للنظام الإ سلامي، وليس من الممكن أن نسير في الحكم في ضوء الخطوط التي رسمها الدين الإسلامي قبل أربعة عشر قرنا. ومثل هذه السخافة لو أتت من قبل أعداء الإسلام لهان الأمر، ولكنا نسمعها من المسلمين الذين يتظاهرون بإيمانهم بالكتاب والسنة ويزعمون أنهم يفهمون الإسلام أكثر من الآخرين.

ومثل هذه الجهود تعتبر صورة من صور الصراع بين الحق والباطل، ونحن نؤمن بأنها تختفي ولو بعد مدة، وذلك لأن الباطل لم يرزق الصمود ولأن العالم الإنساني بعد أن جرب النظم والمذاهب يريد العودة إلى حظيرة الإسلام والاستظلال بظله الوارف. وعلى علماء الإسلام و دعاته في هذا الوقت أن يصمدوا أمام جميع القوى المعادية للإسلام، وينشروا بين الناس تعاليم القرآن، ويضحوا بكل ما يملكون في سبيل إعلاء كلمة الله. إن العالم اليوم ينتظر منهم أن يلعبوا دورهم ويؤدوا واجبهم لاستعادة مكانتهم وأداء رسالتهم. والله تعالى هو المسئول أن يوفقهم لخدمة دينهم ويثبت أقدامهم في هذه الظروف الصعبة، إنه ولي التوفيق، ونعم المولى ونعم النصير.

(صوت الجامعة: صفر 1392 هـ = مارس 1972 م)

***

الفقه الإسلامي

الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفضلها

الشيخ أبوالحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

قال المجد الفيروزآبادى: الصلاة: الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وعبادة فيها ركوع وسجود، اسم يوضع موضع المصدر، صلى صلاة لا تصلية، دعا – انتهى.

وقال الحافظ فى الفتح بعد ذكر أقوال القوم فى معنى الصلاة: وأولى الأقوال ما تقدم عن أبى العالية أن معنى صلاة الله على نبيه، ثناؤه عليه، وتعظيمه. وصلاة الملائكة وغيرهم عليه: طلب ذلك له من الله تعالى. والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة، وقيل: صلاة الله على خلقه تكون خاصة، وتكون عامة، فصلاته على أنبيائه هى ما تقدم من الثناء والتعظيم، وصلاته على غيرهم الرحمة، فهى التى وسعت كل شيء. قال: وقال الحليمى: معنى الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم تعظيمه، فمعنى قولنا: اللهم صل على محمد: عظم محمدا، والمراد تعظيمه فى الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفى الآخرة بإجزال مثوبته، وتشفيعه فى أمته، وإبداء فضيلته بالمقام المحمود. وعلى هذا فالمراد بقوله "صلوا عليه" ادعوا ربكم بالصلاة عليه – انتهى. ولا يعكر عليه عطف "آله وأزواجه، وذريته" عليه، فإنه لا يمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم، إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به. وما تقدم عن أبى العالية أظهر، فإنه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة إلى الله، وإلى ملائكته، وإلى المؤمنين المأمورين بذلك بمعنى واحد – انتهى كلام الحافظ مختصرا.

واعلم أنهم اختلفوا فى أن الأمر فى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما – 33: 56) هل هو للندب أو للوجوب؟ ثم هل الصلاة عليه فرض عين أو فرض كفاية؟ ثم هل تتكرر كلما سمع ذكره أم لا ؟ وإذا تكرر هل تتداخل فى المجلس أم لا؟ فذهب ابن جرير الطبرى إلى أن الصلاة عليه من المستحبات. وقيل: إنها تجب في العمر مرة في صلاة أو في غيرها، وهي مثل كلمة التوحيد، قاله أبوبكر الرازي من الحنفية، وابن

حزم، وغيرهما، فهي عندهم فرض بالجملة، ولا تتعين في الصلاة، ولا في وقت من الأوقات، ومن صلى عليه مرة واحدة في عمره فقد سقط فرض ذلك عنه، وبقى مندوبا إليه في سائر عمره مقدار ما يمكنه، وبهذا عرف أن الصلاة عليه في التشهد الأخير من الصلاة سنة مستحبة عندهم، وإليه ذهب أبوحنيفة ومالك والثوري. وقيل: تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل، قاله الشافعي وأحمد ومن تبعهما، فهي عندهم من فرائض الصلاة، وأركانها. والفرض منها عندهم متعين في الصلاة. وقيل: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل، نقل ذلك عن أبي جعفر الباقر. وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد، قاله أبو بكر بن بكير من المالكية. وقيل: كلما ذكر، قاله الطحاوي، وجماعة من الحنفية، والحليمى، وجماعة من الشافعية. وقال ابن العربي من المالكية: إنه الأحوط، وكذا قال الزمخشري. وقال في الدر المختار: اختلف الطحاوي والكرخي في وجوبها على السامع والذاكر كلما ذكر، والمختار عند الطحاوي تكرار الوجوب كلما ذكر، ولو اتحد المجلس في الأصح، لا لأن الأمر يقتضي التكرار، بل لأنه تعلق وجوبها بسبب متكرر، وهو الذكر فيتكرر بذكره، وتصير دينا بالترك. فتقضى لأنها حق عبد كالتشميت، بخلاف ذكر الله تعالى. والمذهب استحباب التكرار، وعليه الفتوى، والمعتمد قول الطحاوي، كذا ذكره الباقاني تبعا لما صححه الحلبي وغيره، ورجحه في البحر بأحاديث الوعيد كرغم، وإبعاد، وشقاء، وبخل، وجفاء – انتهى. وقيل: تجب في مجلس مرة، ولو تكرر ذكره مرارا، حكاه الزمخشري. وقيل: في كل دعاء، حكاه أيضا. هذا إجمال الكلام في معنى الصلاة على النبى ﷺ وحكمها.

ويؤخذ مما أوردنا من بيان الآراء في حكمها بيان محلها وحكمها في الصلاة خاصة. ومن المواطن التى اختلف في وجوب الصلاة عليه فيها: التشهد الأول، وخطبة الجمعة، وغيرها من الخطب، وصلاة الجنازة. ومما يتأكد و وردت فيه أخبار خاصة أكثرها بأسانيد جيدة: عقب إجابة المؤذن، وأول الدعاء ووسطه وآخره، وفى أوله آكد، وفى آخر القنوت، وفى أثناء تكبيرات العيد، وعند دخول المسجد والخروج منه. وعند الاجتماع والتفرق،

وعند السفر والقدوم، وعند القيام لصلاة الليل، وعند ختم القرآن، وعند الهم والكرب، وعند التوبة من الذنب، وعند قراءة الحديث وتبليغ العلم والذكر وعند نسيان الشيء، وورد ذلك أيضا في أحاديث ضعيفة، وعند استلام الحجر، وعند طنين الأذن، وعند التلبية، وعقب الوضوء، وعند الذبح والعطاس، وورد المنع منها عندهما أيضا، وورد الأمر بالإكثار منها يوم الجمعة في حديث صحيح، كذا في الفتح.

وأما صفتها، فقال ابن قدامة فى المغنى (ج**1**، ص**585**): الأولى أن يأتي بالصلاة على النبى ﷺ على الصفة التي ذكر الخرقي، لأن ذلك حديث كعب بن عجرة، وهو أصح حديث روي فيها. وعلى أي صفة أتى بالصلاة عليه مما ورد فى الأخبار أي الصحيحة جاز، كقولنا في التشهد، وظاهره أنه إذا أخل بلفظ ساقط في بعض الأخبار جاز، لأنه لو كان واجبا لما أغفله النبي ﷺ .

قال القاضي أبو يعلى: ظاهر كلام أحمد أن الصلاة واجبة على النبي ﷺ حسب قوله في خبر أبي زرعة: الصلاة على النبي ﷺ أمر، من تركها أعاد الصلاة، ولم يذكر الصلاة على آله، وهذا مذهب الشافعى، ولهم في وجوب الصلاة على آله وجهان. وقال بعض أصحابنا: تجب الصلاة على الوجه الذي في خبر كعب، لأنه أمر به، والأمر يقتضي الوجوب، والأول أولى، والنبي ﷺ إنما أمرهم بهذا حين سألوه تعليمهم، ولم يبتدئهم به – انتهى. وقد أطال الكلام في مسئلة الصلاة عليه فأجاد، وأحسن العلامة الخفاجي في "نسيم الرياض" شرح "شفاء القاضي عياض" والإمام ابن القيم في "جلاء الأفهام" والسخاوي في "القول البديع في الصلاة على الشفيع" والقسطلاني في "المواهب اللدنية" من أحب رجع إلى هذه الكتب.

(مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: **3 / 246 – 248**)

* * *

تفنيد المزاعم:

سَقَطَاتُ هَشِيمِ الـمُحتَظَر

كتاب الشيخ عداب الحمش في المهدي المنتظر

(17)

بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

نموذج ثالث من سقطات الشيخ عداب ومغالطاته في تحقيق الأحاديث:

لقد تحدث الشيخ عد اب الحمش كثيرا في كتابه هذا حول أن البخاري ومسلما لم يخرجا شيئا من أحاديث المهدي في صحيحيهما، مما يدل على أنه لم يصح عندهما شيء من هذه الأحاديث مما يوهم القراء بأنه لو كان حديث المهدي في الصحيحين أو أحدهما ل قبله وصدقه الشيخ وهذه عادة غير واحد من الكتاب المحدثين ممن نقل الشيخ عداب كلامه في هذا الكتاب أو غيرهم. ولكنهم في الغالب وفي أثناء إنكارهم للمهدي يبادرون إلى إنكار نزول المسيح عليه السلام وخروج الدجال أيضا، على الرغم من أن الشيخين رحمهما الله أخرجا مجموعة من أحاديث نزول المسيح وخروج الدجال، مما يدل على أن أمثال هؤلاء لا يتحدثون عن مبدإ علمي أو عقدي، ولا يراعون إلا ولا ذمة لا في أحاديث الصحيحين ولا في غيرها، وإنما لهم في كل مقام مقال وحيل وتنسلات مما أخرجه الشيخان أو لم يخرجاه.

والغريب أن الشيخ عداب الحمش على الرغم من أنه يرى في نفسه أنه من كبار أساتذة علم الحديث ومن فقهاء الجرح والتعديل وأطباء علل الأحاديث لم يسلم من هذه النزغة، فلما وجد الشيخ حديث نزول المسيح عليه السلام وصلاته خلف رجل من هذه الأمة وقد اتفق عليه الشيخان حاول الطعن فيه بكلام ركيك، ساقط ومضحك، ولكي يبرر ذلك حاول أن يظهر فيه بمظهر الناصح الأمين فقال:

"يجب أن لا تحجبنا هيبة الصحيح عن فهم الصحيح ومنهج صاحبه فيه، ونأمل من جميع الباحثين أن يبحثوا بمنتهى الحرية، بيد أننا نطالبهم أن لا يتعجلوا بإصدار أحكامهم قبل أن يعرضوا نتائج دراستهم على أهل الاختصاص من جهة، وأن يكون هدفهم الوصول إلى الحقيقة، وليس الرغبة في مخا لفة الشائع فإن هذا مرض نفسي خطير نعوذ بالله منه ومن شر أهله". (ص 383)

قلت: أظن أن الشيخ نفسه لم يسلم من هذا المرض النفسي الخطير، ولذلك لم يعرض كلامه هذا على أهل الاختصاص حقا، فلم يذكر عن أحد من العلماء السابقين أو المعاصرين المحققين ممن طعن في هذا الحديث، ولعله لم يجد بغيته إلا عند بعض القاديانيين فلم يستطع أن يذكرهم، وهذا دليل واضح على شذوذه وانفراده. ولقد حاول الشيخ الطعن في هذا الحديث من عدة أوجه ومنها:

أولا: الكلام في الزهري وعنعنته المزعومة.

لقد بدأ الشيخ ذلك بمدح الإمام الزهري ولكنه مدح بما يشبه الذم، فقال: "لا حاجة بنا في هذا البحث أن ن ترجم للزهري لأنه إمام جليل مع تدليسه وكثرة إرساله وروايته عن شيوخ مجاهيل" (ص 383) ولكنه لم يستطع أن يثبت على هذا فقال بعد صفحة ونصف من هذا الكلام: " بيد أن مما يستدعي التوقف قليلا عند هذا الحديث هو أن الزهري كثير الإرسال والتدليس ولم يرو هذا الحديث إلا بالعنعنة من جميع طرقه، وللزهري مشايخ مجهولون عديدون فهل يصح عدُّ هذا الحديث من الصحيح، لأن البخاري ومسلما أخرجاه في صحيحيهما؟".

قلت: نعم الإمام الزهري إمام جليل بل هو من أساطين علم الحديث حفظا وتدوينا ورواية وفقها وعملا – رغم أنف كل من حاول الطعن فيه من أمثال أبي رية وغيره، أما تدليسه فقد وصفه الإمام الذهبي بأنه "كان يدلس في النادر" (الميزان 4 / 40)، وقال العلائي: قد قبل الأئمة قوله: عن". (جامع التحصيل ص 125)

ثم إن الشيخ لم يصب في ادعائه أن الزهري لم يرو هذا الحديث إلا بالعنعنة من جميع طرقه، وهو يرى بأم عينيه أن الإمام مسلما أخرجه عن طريق يونس عن ابن شهاب قال: أخبرني نافع مولى أبي قتادة الأنصاري (1 / 136 حديث 155 / 244). ثم أخرجه عن طريق ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال: أخبرني نافع مولى أبي قتادة أنصاري (155 / 245) وأخرجه ابن حبان عن طريق الأوزاعي عن ابن شهاب (وهو الزهري) أن نافع بن أبي نافع مولى أبي قتادة أخبره (الإحسان 7 / 284، والرسالة 15 / 213، حديث 6812)

وكذا ا بن عساكر عن طريق الأوزاعي نفسه عن الزهري قال: حدثني نافع مولى أبي قتادةالخ. (47 / 500)

وفي كل هذه المصادر يصرح الزهري بالسماع من نافع مولى أبي قتادة الأنصاري، وبعد كل هذا هل يستقيم ادعاء الشيخ عداب أن الزهري لم يرو هذا الحديث إلا بالعنعنة من جميع طرقه؟

أي علم هذا؟ وهل بمثل هذا الاطلاع والانتباه يدعو الشيخ إلى التخلص من هيبة الصحيح؟ وتذكر قول القائل:

اسفنجة جاءت لشرب البحر

ثانيا: تجهيل نافع مولى أبي قتادة الأنصاري شيخ الإمام الزهري في هذا الحديث وهو نافع بن عباس وقيل عياش أبو محمد، قيل له: مولى أبي قتادة الأنصاري للزومه ولم يكن مولاه، وهو مولى عقيلة بن طلق الغفارية، وقيل بدل "عقيلة" "غفيلة" أو "عبلة" أو "سائبة".

روى عن أبي قتادة الأنصاري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

روى عنه خمسة من الثقات منهم الإمام الزهري وغيره ذكرهم المزي وعنه ابن حجر، واعتمد البخاري أحاديثه في مواضع عدة من صحيحه.

قال النسائي: نافع مولى أبي قتادة ثقة. وقال العجلي: نافع مولى أبي قتادة: مدني تابعي ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات. وذكره ابن شاهين أيضا في الثقات وذكر عن الإمام أحمد أنه قال: معروف، قال الذهبي: ثقة. قال ابن حجر: ثقة من الثالثة. [1]

لم يرو فيه أي جرح من أحد من الأئمة، وهذا يعني أنه ثقة بالاتفاق، أما الشيخ عداب الحمش فيعرض فيه بالجهالة، فقد ذكر ترجمته كاملة من تهذيب الكمال للمزي. ولم يرو فيها توثيق العجلي، ولا قول الإمام أحمد إنه معروف. ولا ذكر الشيخ عداب شيئا عن توثيق الذهبي وابن حجر المبنيين على توثيق الأئمة ومناهجهم في الجرح والتعديل، وعلى عكس من ذلك قال:

أ – " آثرت أن أنقل كلام المزي بتمامه لتعرف قدر هذا الراوي على حقيقته من غير تزيد ولا مبالغات، ثم لنتبين من وراء ذلك ما إذا كان حديثه هذا بلغ الدرجة العالية في الصحة أو ما دونها". (ص 384)

[1] ينظر: معرفة الثقات العجلي 2 / 310، ثقات ابن حبان 5 / 468 ، ثقات ابن شاهين: 240، تهذيب الكمال 29 / 278، والكاشف: 3 / 173، تهذيب التهذيب: 10 / 405، تقريب التهذيب: ص 995 .

وقال أيضا: "ومع أن خمسة من الثقات يروون عنه إلا أن شخصيته غير واضحة المعالم، وانظر إلى عدد التمريضات في جملة "قيل" "وقيل". (ص 385)

وقال أيضا: "وللزهري مشايخ مجهولون عديدون". (ص 385)

قلت: أما غمز الشيخ في هذا التابعي الكبير بالاختلاف في اسم والده أو مولاته فلا قيمة له في ميزان العلم، فهناك كثير من الصحابة والتابعين ممن اختلف في اسم آبائهم أو مواليهم، فهذا الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، قد اختلف في اسمه واسم أبيه على نحو عشرين قولا، فكان ماذا؟ هل أحد من عقلاء المسلمين تكلم فيه وقال: إن شخصيته غير واضحة المعالم !! وإن روايته تستدعي الوقوف عندها؟؟

وهذا الصحابي الجليل أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه قيل اسمه: جرثوم، أو جرثومة، أو جرثم، أوجرهم أو لاشر، أو لاشى أو لاشق، أو لاشومة، أو ناش،أو باشر، أو غرتوق، أو شق أو زيد، أو الأسود، واختلف في اسم أبيه أيضا.

وهذا النحوي الشهير أبو الأسود الدولي قيل اسمه: ظالم بن عمرو بن سفيان، وقيل عمرو بن ظالم، ويقال بالتصغير فيهما، ويقال: عمرو بن عثمان، ويقال: عثمان بن عمر".

ولا نريد التطويل بذكر الأمثلة، فإن هذا أمر بدهي لدى من رزقه الله شيئا من العلم والفهم.

ولا نذهب بعيدا، فهذا الشيخ عداب نفسه سجل اسمه على غلاف الكتاب "عداب محمود الحمش" ولكنه ذكر اسمه في (ص 539) "محمد فيصل" ثم كتب بين قوسين (عداب) فما الذي حول "محمد فيصل" إلى "عداب" وذكر أمام اسم جد والده الشيخ محمد، بين قوسين (الحمش) وأمام اسم والده السيد خالد (العقال) والاختلافات في الأسماء والألقاب تنشأ هكذا، فلو سئل نافع مولى أبي قتادة الأنصاري رحمه الله عن اسم والده لبينه بكل دقة، ولك ن التحريف أتى من أخطاء الرواة من بعده، فهل هناك من عنده شيء من العلم والذوق يتخذ مثل هذا ذريعة للطعن في الراوي الثقة والتشكيك في حديثه، ألا يكفي أن الشيخين البخاري ومسلما اتفقا على تخريج أحاديثه، وما اتفق عليه الشيخان هو من أعلى أنواع الحديث الصحيح باتفاق علماءالحديث.

ثالثا: قال الشيخ عداب: وقد أخرج له البخاري ومسلم حديثا عن أبي قتادة". (ص 384)

قلت: لم يصب الشيخ في هذه الإ حصائية، وهذه عادته في كثير من المواضع في كتابه مما يدل أنه غير دقيق في بحثه عن الأحاديث، فقد أخرج له البخاري حديثين عن أبي قتادة.

الحديث الأول: هو في قصة صيده للحمار الوحش في طريقه إلى مكة حينما كان أصحابه محرمين وهو غير محرم، فصاد حمارا وحشيا، فقال بعض أصحابه كلوه، وقال بعضهم لا تأكلوا، فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه قال لهم: كلوه حلال".

وقد أخرجه البخاري في أربعة مواضع من صحيحه، انظر: الأرقام: 1727، 2757، 5172، 5173، حسب طبعة مصطفى البغا، ومسلم برقم 1196.

وأخرجه أيضا أبوداود في المناسك، والترمذي والنسائي في الحج (انظر تحفة الأشراف 9 / 266) وأخرجه أيضا مالك والشافعي وأحمد وأبوعوانة وابن حبان، والطحاوي. (انظر اتحاف المهرة 4 / 164)

والحديث الثاني: هو في ذكر غزوة حنين وفيه "من قتل قتيلا فله سلبه".

أخرجه البخاري في أربعة مواضع من صحيحه (انظر الأرقام 2973، 4066، 4067، 6849، طبعة البغا) ومسلم برقم 1756).

كما أخرجه أبوداود، والترمذي وابن ماجه ايضا. (انظر تحفة الأشراف 9 / 266 – 267) وأخرجه أيضا الدارمي، وابن الجارود، وأبو عوانة والطحاوي وابن حبان ومالك والشافعي (كما في اتحاف المهرة 4 / 165) وأخرجه أحمد مختصرا 22527 و 22607، و22518 ، ولم يذكره ابن حجر في اتحاف المهرة.

ولكن نافعا مولى أبي قتادة ذكر في أسانيد هذا الحديث الثاني بكنيته "أبي محمد مولى أبي قتادة" فخفي ذلك على الشيخ عداب الحمش لانشغاله بفقه الجرح والتعديل.

ولم يصب الشيخ أيضا في قوله "ولم يرو عن أبي هريرة سوى هذا الحديث". (ص 384).

فقد أخرج له أبوداود عن أبي هريرة حديث "من أحب أن يحلق حبيبه حلقة من نار .. الحديث. (سنن أبي داود، كتاب ا لخاتم، باب ما جاء في الذهب للنساء، حديث: 4236) وأخرجه أيضا أحمد (8416 و 8910) والبيهقي. (كتاب الزكاة، باب سياق أخبار تدل على تحريم التحلق بالذهب)

لعل هذه الأمثلة كافية لإقناع الشيخ بأن التسرع في الادعاءات أمر لا يليق بالباحث في علم الحديث، بل إنه يحتاج إلى كثير من التأني والتروي، ومع ذلك فهو لا يأمن العثار والزلل، ونسأل الله العافية.

رابعا: قال الشيخ عداب: " بيد أن مما يستدعي التوقف قليلا عند هذا الحديث، هو أن الزهري كثير الإرسال والتدليس ولم يرو هذا الحديث إلا بالعنعنة من جميع طرقه، وللزهري مشايخ مجهولون عديدون. فهل يصح عد هذا الحديث من الصحيح، لأن البخاري ومسلما أخرجاه في صحيحهما؟" (ص 385)

قلت: الاستفهام هنا إنكاري كما هو واضح، أي أن الشيخ يقرر أن هذا الحديث لا يصح عده من الصحيح ولو أخرجه البخاري ومسلم، ولكن كما علمنا أن الأساس الذي بنى عليه الشيخ هذا الحكم – وهو أن الزهري رواه بالعنعنة وشيخه غير واضح المعالم – باطل فقد بطل هذا الحكم وانكشف عواره.

خامسا: قال الشيخ عداب الحمش: " لم يكن البخاري بعيدا عن الأحاديث التي نصت على المهدي" إلى أن قال: "ولو كان يرى صحة شيء من أحاديث المهدي لكان هذا الحديث مسعفا له في ذلك. (ص 385)

قلت: لقد مضت على الأمة الإسلامية ثلاثة عشر قرنا ولم يستطع الشيخ عداب أن يقدم نصا صريحا واضحا عن أحد من أئمة أهل الحديث أن كل أحاديث المهدي ضعيفة، لا البخاري ولا غيره، فلا أدري ما الداعي إلى أن نحمل البخاري ما لم يتحمله ولم يقل به، وها هو الشيخ عداب الحمش يضعف هذا الحديث على الرغم من أن البخاري ومسلما اتفقا على تخريجه، بينما أن البخاري ومسلما قد نصا بكل وضوح على أنهما لم يخرجا في كتابيهما كل ما صح عندها – كما سبق، وكما هو معروف عند طلبة الحديث – ولكن الشيخ يتجاهله دائما، ويكرر الشريط نفسه مرارا و تكرارا، والبخاري نفسه يصحح أحاديث لم يخرجها هو في صحيحه، وكثيرا ما ينقل الإمام الترمذي عن البخاري تصحيحه أو تحسينه لأحاديث لم يخرجها البخاري في صحيحه [1]، وعلى سبيل المثال هذا حديث عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه في كلمات الأذان لم يخرجه البخاري في الصحيح. (ينظر تحفة الأشراف 4 / 343 – 345). وقال البيهقي عقب إخراجه هذا الحديث: "وفي

[1] انظر على سبيل المثال جامع الترمذي حديث 1366، 1742، 3235، تحقيق بشار عواد.

كتاب العلل لأبي عيسى الترمذي قال: سألت محمد ابن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث – يعني حديث محمد بن إبراهيم التيمي، فقال: هو عندي حديث صحيح". (السنن الكبرى 1 / 391)

وبالمناسبة فـ إن البخاري لم يخرج أي حديث في كتاب الأذان من صحيحه في تفصيل كلمات الأذان التي ترددها الأمة الإسلامية مئات الآلاف من المرات كل يوم في مشارق الأرض ومغاربها، فهل هذا يعني أن البخاري كان ينكر هذه الكلمات في الأذان؟؟ طبعا لا، ولكنه لم يخرج حديث عبد الله بن زيد هذا كما قال ابن حجر: "وإنما لم يخرجه البخاري لأنه على غير شرطه" (فتح الباري 2 / 78، في شرح الحديث 604) على الرغم من أنه حديث صحيح عنده، كما ذكرت نقلا عن البيهقي آنفا، وقال الإمام البخاري في صحيحه: "باب القسمة وتعليق القنو في المسجد" ثم ذكر فيه حديثا ليس فيه أي ذكر للقنو، قال الشيخ الألباني رحمه الله:

" ولم يذكر البخاري في هذا الباب حديثا في تعليق القنو مع أنه ترجم له، فكأنه أشار بذلك إلى بعض الأحاديث الواردة في ذلك ... ولم يذكرها وإن كانت صحيحة لأنها ليست على شرطه". (الثمر المستطاب 2 / 822).

سادسا: قال الشيخ الحمش: "وقد خرجه (أي البخاري) في باب نزول عيسى بن مريم شاهدا لحديث الباب، فيكون مراده ما يخص نزول المسيح ابن مريم فقط لا جملة الحديث، لأن من المسلم لدى النقاد أن البخاري يخرج حديثا كاملا للافادة من لفظة واحدة فيه، وعليه فيكون الحديث من قبيل ما يخرجه البخاري في الشواهد لا مما يخرجه للاحتجاج. (ص 385)

قلت: هذا الشكل الثالث من التقلبات المزاجية للشيخ الحمش في الحكم على هذا الحديث في أقل من صفحتين (384 – 385). فقد نقل أولا ترجمة نافع مولى أبي قتادة من تهذيب الكمال للمزي كاملة، وزعم أنه فعل ذلك "ليتبين من وراء ذلك ما إذا كان حديثه هذا بلغ الدرجة العالية في الصحة أو ما دونها". (ص 384)

والمتبادر أنه يقصد من "الدرجة العالية في الصحة" الحديث الصحيح و "ما دونها" الحديث الحسن.

ولكنه لم يستطع أن يستقر على هذا فأسقط هذا الحديث المتفق عليه من الدرجة العالية في الصحة ومما دونها أيضا، فتساءل: "فهل يصح عد هذا الحديث من الصحيح لأن البخاري ومسلما أخرجاه في صحيحهما". (ص 385)

ثم إنه لم يستطع أن يثبت على هذا أيضا، فزعم أن الإمام البخاري أخرج هذا الحديث من قبيل ما يخرجه في الشواهد لا بما يخرجه للاحتجاج" وحتى هذا الاستشهاد إنما هو — في زعم الشيخ — بالفقرة الأولى من هذا الحديث أي ما يتعلق بنزول عيسى ابن مريم فقط لا صلاته وراء إمام من المسلمين، فقوله "وإمامكم منكم" لا يصلح حتى للاستشهاد عند الشيخ الناطق بلسان البخاري ظلما وزورا ! !

وفي هذا الكلام يكون الشيخ قد نسب إلى الإمام البخاري عدة أشياء، البخاري بريء منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، وهي:

1 — إن الحديث الأول الذي أخرجه البخاري في هذا الباب — وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيرا من الدنيا و ما فيها، ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا. (البخاري مع الفتح 6 / 491 حديث: 3449) — غير صحيح أيضا عند البخاري — حسب زعم الشيخ — ولذلك البخاري أورد الحديث الثاني ليكون شاهدا له. والمعروف عند العلماء أن الحديث الذي يحتاج إلى شاهد هو في الأصل حديث ضعيف، فإذا وجد له شاهد فيتقوى به ويصل إلى درجة الحسن لغيره، وهكذا رمى الشيخ عصفورين بحجر واحد، فضعف الحديثين معا، لاسيما وأن الحديث الحسن لغيره — عند الشيخ — لا يحتج به وانما يستأنس به في فضائل الأعمال والرغائب والتفسير مما لا ينبني عليه حكم. (ص 353)

2 — أن زعم الشيخ أن البخاري أخرج هذا الحديث شاهدا للحديث الأول لا يستقيم لأن هذا الحديث لا يشهد إلا للجملة الأولى منه، وهي قوله " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم" وأما ما بعده من كونه " حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال الخ كله يبقى بدون شاهد، على أن الشيخ صرح في (ص 533)

أن منهجه النقدي (111) لا يسوغ التصحيح بالشواهد، فأصبح الشاهد والمشهود كلاهما ضعيفين عند الشيخ، ونسأل الله العافية.

3 – كون عيسى بن مريم عليه السلام يصلي وراء رجل من هذه الأمة ورد من رواية عدد من الصحابة غير أبي هريرة رضي الله عنه.

وهم جابر بن عبد الله الأنصاري، وعثمان بن أبي العاص، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وحذيفة رضي الله عنهم، ذكرت رواياتهم في كتابي (المهدي المنتظر ص 285 – 286) فهذا متواتر على ما رجحه الشيخ عداب الحمش في تعريف المتواتر فما بال الشيخ يطعن حتى في المتواتر إذا ما ناسب رأيه ؟؟

ولم يكتف الشيخ بالطعن في هذا الحديث المتفق عليه، بل فتح بابا وساعا للطعن في كثير من أحاديث البخاري فقال: " والحديث الذي يخرجه البخاري في التفسير، وهو بباب في كتاب التوحيد ألصق، يكون البخاري إنما عدل عن تخريجه في بابه لغاية نقدية حديثية. (ص 530)

ولم يوضح الشيخ ماذا يعني من "غاية نقدية حديثية"؟ وسواء أفصح الشيخ أو أسر، فإنما هو فتح بابا واسعا للتشكيك في أحاديث البخاري عن جهل وقلة توفيق، فالتفسير هو تفسير كتاب الله القرآن الكريم، وهل هناك عاقل يقول إن القرآن الكريم خال من مسائل التوحيد؟ فما المانع أن يخرج البخاري في كتاب التفسير حديثا يتعلق بمسألة من مسائل التوحيد؟؟ إذا كانت الآية التي يفسرها تقتضي مثل هذا الحديث؟؟

وقس على هذا غير التفسير وغير التوحيد، فالحديث الواحد قد يستدل به على كثير من المسائل، فما المانع من أن يخرج البخاري حديثا في باب، وفيه ما يتعلق بأبواب أخرى أيضا لم يخرج فيها البخاري ذلك الحديث لكونه اكتفى فيها بأحاديث أخرى تؤدي ذلك الغرض.

ومثل هذا الكلام لا ينبغي أن يصدر من شخص وفق لقراءة صحيح البخاري ولو مرة واحدة في عمره، ولكن لله في خلقه شؤون.

لقد هزلت حتى بدا من هزالها
كلاها وحتى سامها كل مغلس

(يتبع)

* * *

التشريع الإسلامي

مصدر التلقي لدى المنهج السلفي

الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد / الكويت

مصدر التلقي عندنا : " الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة".

وهما مصدران من الله تعالى:

أما الكتاب فأوحاه الله تعالى إلى عبده ورسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وجعله دستور الحق والهداية وبرّأه من الباطل:

(وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [فصلت: 41 – 42]

وأما السنة فهي مبينة للقرآن ومفصّلة لمجمله (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) [النحل: 44]

وإن السنة أيضا وحي من الله، قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) [النجم: 3 – 4]

وأخرج الدارمي في سننه (1 / 145) بإسناد صحيح عن حسان عطية قال: "كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن".

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض". (رواه الحاكم، صحيح الجامع: 2937)

فهم السلف الصالح:

أما العمل بالكتاب والسنة فيكون عندنا بفهم سلف الأمة الصالح. حتى لا تتخطّفنا الأهواء في فهم نصوصهما.

والسلف الصالح: هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان في العقائد والعبادات، والأعمال والأحكام والأخلاق والقيم والحكم والسياسة وغيرها من أمور المعاش والمعاد.

وسطية المنهج السلفي:

- الفرقة الناجية
- والطائفة المنصورة

- وأهل السنة والجماعة
- وأهل الحديث

هذه التسميات كلها لمسمى واحد، وهو "السلفية". وهم الوسط في أصول الدين وفروعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في "الواسطية" في أهل السنة والجماعة:

"بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

- فهم وسط في (باب صفات الله سبحانه وتعالى) بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة.
- وهم وسط في (باب أفعال الله تعالى) بين القدرية والجبرية.
- وفي (باب وعيد الله) بين المرجئة والوعيدية: من القدرية وغيرهم.
- وفي (باب أسماء الإيمان والدين) بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية.
- وفي (أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) بين الروافض والخوارج." (مختصرا)

وكذلك:

- وهم وسط في (باب الأحكام) بين الظاهرية المطلقة، والتفقه المتشدد.
- وهم وسط في (باب الدعوة إلى الله تعالى) بين أصحاب السياحة في الأرض، المتصوفة المستلمين بجهل مع حماس وبين دعاة الاغتيالات والانقلابات، والمظاهرات والمسيرات.
- وسطيتهم في هذه الأبواب كلها تنبني على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وجوب طاعة أولي الأمر في غير معصية:

تجب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحرم في المعصية.

- عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال:

"بايعنا رسول الله صلى الله عليه و سلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم".

وفي رواية:

" .... وأن لا ننازع الأمر أهله، قال:

إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه سلطان". (متفق عليه)

- وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" إنها ستكون بعد أثرة وأمور تنكرونها".

قالوا: يا رسول الله! كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟

قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم". (متفق عليه)

- عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

" ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سَلِمَ . ولكن من رضي وتابع.

قالوا: أفلا نقاتلهم ؟

قال: لا. ما صلوا". (مسلم: **1854**)

قال الإمام النووي – رحمه الله –:

"ففيه: أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيّروا شيئا من قواعد الإسلام".

ولأهمية الولاة والأمراء والحكام في ضبط الأمن والاستقرار في البلد، وإقامة الحدود في أرض الله ونصر المظلوم وغيرها من الأمور كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون:

" لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان". (السلفية **94**، عام **1425** هـ)

قضية التكفير:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:

" لا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه: كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة ...

والخوارج المارقون الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم، قاتلهم علي بن أبـي طالب أحد الخلفاء الراشدين. واتفق على قتالهم أئمـة الـدين مـن الـصحابة والتـابعين ومـن بعدهم، لم يكفّرهم علي بن أبي طالب وسعد بـن أبـي وقـاص وغيرهـم مـن الـصحابة، بـل جعلوهم مسلمين مع قتالهم ... ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم.

وإذا كان هؤلاء الذي ن ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفـروا مـع أمـر الله ورسـوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم ... فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى وتـستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضا ؟!

والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعرا ضهم محرمة من بعضهم على بعض كما قـال صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع ... وقال: "كـل المـسلم علـى المـسلم حـرام: دمـه وماله وعرضه".

وقال صلى الله عليه وسلم: لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض" وقـال صلى الله عليه وسلم: إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما". هـذه الأحاديـث كلها في الصحاح". (مختصرا من الإفساد في الأرض: 22 – 23)

ولا يفوتني أن أذكر أن التكفير أفرزته سجون بعض البلاد العربية حينما عذّب فيها الإسلاميون أشد العذاب في العصر الحاضر. ولكن مع هذا كله، كمـا قـال شـيخ الإسـلام ابـن تيمية – رحمه الله –: ... التكفير حق لله، فلا يكفّر إلا من كفّـره الله ورسـوله ...". (نقـلا عن دعوة شيخ الإسلام: 623)

قضية الجهاد:

الجهاد ذروة سنام الإسلام، وهو فريضة شرعية يقيمها ولاة الأمور والحكـام تحـت رايات واضحة.

والسلفيون – بحمد الله – قائلون بهذا الجهاد الذي يقع بشروطه وضوابطه.

" ولكنهم ينهون عن الحركات الطائشة، وعن الغدر والخيانة والقتل العشوائي الـذي لا يفرّق بين صغير وكبير، وينهون عن الخروج على الحكام المسلمين، وإيقاع الفتنة في بلاد المسلمين، وينهون عن أسلوب الانقلابات والتفجيرات ومحاولة تغـيير المنكـر بمنكـر أكـبر

منه، ك ما يرفضون الغدر بالمعاهدين، وبالذين لا يقاتلون المسلمين ويرفضون الفتاوى التي تأمر بقتل الأمريكي وإن كان مسلما، وغيره في كل مكان دون تفريق..." (الإفساد في الأرض ليس من السلفية: 76 – 77)

لا ينتهي الأمر في الإسلام إلى هنا، بل وردت نصوص في وعيد قتل المشرك المستأمن والمعاهد، منها ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما". (البخاري رقم 6914)

قال ابن حجر: "من قتل معاهدا" المراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية، أو هدنة من سلطان، أو أمان من مسلم". (الفتح: 12 / 59)

فلابد من التفريق بين الجهاد المشروع والإفساد الممنوع.

من أهداف السلفية:

إن السلفية هي العودة بالأمة إلى الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، في العقيدة والعمل، والسياسة والاجتماع، والمعيشة وا لاقتصاد، وغيرها من نواحي الحياة.

وهي تمثل تعاليم الإسلام النقية من أكدار الجمود والركود، والشرك والوثنية، والبدع والأهواء، والخرافات والأوهام، والعادات والتقاليد.

وهي تعبير دقيق عن الإسلام الخالص، الخالي من هذه الشوائب كلها.

من جهات السلفية في القارة الهندية:

يمثل هذا الاتجاه في القارة الهندية الجهات التالية:

- جمعية أهل الحديث المركزية في الهند.
- والجامعة السلفية، بنارس (الهند) وغيرها، من الجامعات والمدارس والمعاهد التابعة للمنهج السلفي في الهند من أقصاها إلى أدناها.

* * *

التوجيه الاجتماعي

تأديب الزوجة بين التعدي والمشروع

د. نايف بن أحمد الحمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فقد كثر الكلام هذه الأيام عن مشروعية تأديب الزوج زوجته، وانفسم المتحدثون في ذلك على اختلاف مشاربهم بين مؤيد ومذ كر، ونظرا لكون هذه المسألة من المسائل الشرعية التي لابد من بيان الحكم الشرعي فيها وفق ما تقتضيه الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وبعدا عن الأهواء، أحببت الكتابة في ذلك، مبينا ما أراه حقا في هذه المسألة، فأقول مستعينا بالله تعالى.

قال تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا) (النساء: 34). وهذه الآية آية محكمة غير منسوخة، ولكن كثيرا من الناس لم يفهم المراد منها، فعمل بفهمه الخاطئ من تعد واضح على المرأة، وظن أن هذا من الدين، وإذا رجعنا للمنهج الإسلامي في تعامل الزوجين تبين لنا جليا أنه لا يحث على العنف والتعسف في التأديب، بل يحث على الألفة والمحبة والعشرة بالمعروف، وذلك في آيات وأحاديث نبوية كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر.

أولا: قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (النساء: 19).

قال الشافعي – رحمه الله تعالى -: " وجماع المعروف بين الزوجين كف المكروه، وإعفاء صاحب الحق من المؤنة في طلبه، لا بإظهار الكراهية في تأديته، فأيهما مطل بتأخيره فمطل الغني ظلم" ا.هـ [1]. وقال الطبري – رحمه الله تعالى -: "يعني جل ثناؤه بقوله (وعاشروهن بالمعروف) (النساء: 19) وخالقوا أيها الرجال نساءكم وصاحبوهن

[1] أحكام القرآن للشافعي 1 / 204، الأم 5 / 89 .

(بالمعروف) ، يعني بما أمرتم به من المصاحبة، وذلك إمساكهن بأداء حقوقهن التي فرض الله جل ثناؤه لهن عليكم إليهن، أو تسريح منكم لهن بإحسان". ا هـ [2]

وقال ابن قدامة – رحمه الله تعالى –: "وقال بعض أهل العلم: التماثل ههنا في تأدية كل واحد منهما ما عليه من الحق لصاحبه بالمعروف، ولا يمطله به ولا يظهر الكراهة، بل ببشر وطلاقة، ولا يتبعه أذى ولا منة، لقول الله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف)، وهذا من المعروف، ويستحب لكل واحد منهما تحسين الخلق مع صاحبه والرفق به واحتمال أذاه لقول الله تعالى: (وبالوالدين إحسانا وذي القربى) (البقرة: 83) وقوله (والصاحب بالجنب) (النساء: 36) قيل: هو كل واحد من الزوجين". ا. هـ [3]

وقال ابن كثير – رحمه الله تعالى –: "وقوله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف) أي طيبوا أقوالكم لهن و حسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (البقرة: 228). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتطلف بهم ويوسعهم نفقة ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، يتودد إليها بذلك، قالت: " سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني فقال: هذه بتلك" [4] ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد [5]، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم، وقد قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) [الأحزاب: 21] ا.هـ [6].

---

[2] تفسير الطبري 4 / 312 .

[3] المغني 7 / 223 .

[4] رواه أحمد (36 / 237) وأبو داود (2529) والنسائي في الكبرى (8849) وفي عشرة النساء (60) وصححه ابن حبان (4601).

[5] رواه أحمد (81 / 237) والدارمي (1018) وأبوداود (269) والنسائي (282) وحسنه في عون المعبود: 1/ 453.

[6] تفسير ابن كثير 1/ 467، وانظر: زاد المعاد 1 / 150 .

وقال الذهبي – رحمه الله تعالى –: " وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه فالزوج أيضا مأمور بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة، لقول الله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف)" ا. هـ [7].

ثانيا: قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) [الروم: 21] قال ابن كثير – رحمه الله تعالى –: "فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين" ا. هـ [8].

ثالثا: قال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) [البقرة: 228] قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: " إني لأحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تزيَّن لي، لأن الله عز وجل يقول: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وما أحب أن أستوفي جميع حق لي عليها لأن الله عز وجل يقول (وللرجال عليهن درجة)" [9]

رابعا: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا با لنساء خيرا، فإنهن خلقهن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا". [10]

قال النووي – رحمه الله تعالى –: " فيه الحث على الرفق بالنساء والإحسان إليهن، والصبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن وكراهة طلاقهن بلا سبب، وإنه لا مطمع في استقامتهن" ا. هـ [11]، وقال المناوي – رحمه الله تعالى –: "وفيه ندب المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب وسياسة النساء بأخذ العفو عنهن والصبر عليهن، وأن من رام تقويمهن فاته النفع بهن مع أنه لا غنى له عن امرأة يسكن إليها". ا. هـ [12]

خامسا: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر" [13]. قال الحافظ النووي –

---

[7] الكبائر 1 / 178 .
[8] تفسير ابن كثير 2 / 275 .
[9] رواه ابن أبي شيبة 4 / 196 وابن أبي حاتم في التفسير (2196) وابن جرير 2 / 453 والبيهقي 7 / 295 .
[10] رواه البخاري (4890) ومسلم (1468).
[11] مرقاة المفاتيح 6 / 356 .
[12] فيض القدير 2 / 388 .
[13] رواه مسلم (1469) .

رحمه الله تعالى -: " أي ينبغي ألا يبغضها، لأنه إن وجد فيها خلقا يكره وجد فيهـا خلقـا مرضيا، بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك". ا. هـ [14]

سادسا: قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: "اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف". [15]

وعن عمرو بن الأحوص – رضي الله عنه – أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، فذكر الحديث وفيه: "ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن". [16]

سابعا: عن عبد الله بن زمعة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم" [17]، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى -: "وفي سياقه استبعاد و قوع الأمرين من العاقل، أن يبالغ في ضرب امرأته ثم يجامعها من بقية يومه أو ليلته، والمجامعة أو المضاجعة إنما تستحسن مع ميل النفس والرغبة في العشرة، والمجلود غالبا ينفر ممن جلده، فوقعت الإشارة إلى ذم ذلك، وأنه إن كان ولابد فليكن التأديب بالضرب اليسير، بحيث لا يحصل منه النفور التام، فلا يفرط في الضرب ولا يفرط في التأديب ... ولأن ضرب المرأة إنما أبيح من أجل عصيانها زوجها فيما يجب من حقه عليها" ا. هـ [18]

---

[14] شرح صحيح مسلم 10 / 58 الديباج للسيوطي 4 / 80 .
[15] رواه مسلم (1218) من حديث جابر – رضي الله عنه - .
[16] رواه ابن أبي شيبة 2 / 56، والنسائي في الكبرى (9169) وابن ماجه (1851) والترمذي (1163) وقال: حسن صحيح.
[17] رواه البخاري (4908) .
[18] فتح الباري 9 / 303 ، عمدة القاري 20 / 192 .

ثامنا: عن إياس بن أبي ذباب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تضربوا إماء الله" قال: فذئر – أي نشز – النساء وساءت أخلاقهن على أزواجهن، فقال عمر بن الخطاب: ذئر النساء وساءت أخلاقهن على أزواجهن منذ نهيت عن ضربهن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فاضربوا"، فضرب الناس نساءهم تلك الليلة، فأتى نساء كثير يشتكين الضرب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين أصبح: "لقد طاف بآل محمد الليلة سبعون امرأة، كلهن يشتكين الضرب، وأيم الله لا تجدون أولئك خياركم"[19]، قال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى –: "فجعل لهم الضرب وجعل لهم العفو وأخبر أن الخيار ترك الضرب" أ. هـ[20]

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى –: "فيه دلالة على أن ضربهن مباح في الجملة، ومحل ذلك أن يضربها تأديبا إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليها فيه طاعته، فإن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل، ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإبهام لا يعدل إلى الفعل لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة في الزوجية، إلا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله". ا.هـ[21]

تاسعا: عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل[22]، قال النووي – رحمه الله تعالى –: " فيه أن ضرب الزوجة والخادم والدابة وإن كان مباحا للأدب فتركه أفضل". ا. هـ[23]

وقال القاري – رحمه الله تعالى –: " خصا بالذكر اهتماما بشأنهما، ولكثرة وقوع ضرب هذين والاحتياج إليه وضربهما، وإن جاز بشرطه فالأولى تركه، قالوا: بخلاف الولد، فإن الأولى تأديبه، ويوجه بأن ضربه لمصلحة تعود إليه فلم يندب العفو بخلاف ضرب هذين، فإنه لحظّ النفس غالبا، فندب العفو عنهما مخالفة لهواها وكظما لغيظه". ا. هـ[24]

---

[19] رواه النسائي في الكبرى (9167) وصححه ابن حبان (4189) .
[20] الأم 5 / 112 .
[21] فتح الباري 9 / 304 وانظر: عون المعبود 6 / 128 .
[22] رواه مسلم (2328).
[23] شرح صحيح مسلم 15 / 84 .
[24] مرقاة المفاتيح 10 / 488، وانظر: كشاف القناع 5 / 209 .

عاشرا: عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"[25]، قال المناوي – رحمه الله تعالى –: "ولهذا كان على الغاية القصوى من حسن الخلق معهن، وكان يداعبهن ويباسطهن ... (وأنا خيركم لأهلي) أي برا ونفعا لهم دينا ودنيا، أي فتابعوني، ما آمركم بشيء إلا وأنا أفعله".ا.هـ[26]

الحادي عشر: عن جابر – رضي الله عنه – قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضرب في الوجه"[27]

قال النووي – رحمه الله تعالى –: " وأما الضرب في الوجه فمنهي عنه في كل الحيوان المحترم من الآدمي والحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها، لكنه في الآدمي أشد، لأنه مجمع المحاسن مع أنه لطيف، لأنه يظهر فيه أثر الضرب، وربما شانه، وربما آذى بعض الحواس ". ا.هـ[28]

وعن معاوية بن الحكم السلمي – رضي الله عنه – قال: "كانت لي جارية، ترعى غنما لي قِبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعظم ذلك عليّ، قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: ايتني بها فأتيته بها فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة".[29]

الثاني عشر: عن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي، وكان بيده سواك، فدعا وصيفة له أو لها، حتى استبان الغضب في وجهه، وخرجت أم سلمة إلى الحجرات فوجدت الوصيفة وهي تلعب ببهيمة، فقالت: ألا أراك تلعبين بهذه البهيمة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك؟ فقالت: لا والذي بعثك بالحق ما سمعتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك".[30]

---

[25] رواه ابن حبان (4177) والبيهقي 7 / 468 .
[26] فيض القدير 3 / 496 .
[27] رواه مسلم (2116).
[28] شرح النووي على صحيح مسلم 14 / 97 وانظر: عمدة القاري 21 / 140، التيسير بشرح الجامع الصغير 2 / 470، نيل الأوطار 8 / 250، عون المعبود 7 / 167 .
[29] رواه مسلم (537).
[30] رواه أحمد وأبو يعلى (6944) والبخاري في الأدب (184) قال المنذري: "أحمد بأسانيد أحدها جيد" ، الترغيب والترهيب 3 / 153 وقال الهيثمي: "وإسناده جيد عند أبي يعلى والطبراني"، مجمع الزوائد 10 / 353.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة". [31]

وبعد هذه الجولة في تلك الآيات والأحاديث المباركة التي هي غيض من فيض يتبين معنى الآية، ويظهر لنا ما يلي:

أولا: وجوب معاشرة كل واحد من الزوجين الآخر بالمعروف.

ثانيا: أن القوامة بيد الرجل، ومما يدخل في القوامة تقويم سلوك الزوجة متى أساءت أو نشزت بترفعها عليه أو غلظتها معه أو معصيته بما يجب عليها له، فيقومها بالنصح أولا، وذلك بتذكيرها بحرمة النشوز ووجوب طاعتها له في غير معصية، مع ذكر الأدلة على ذلك كحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح" [32] ، فإن لم يجد ذلك هجر فراشها أو الحديث معها في البيت، ولا يتعدى ذلك خارج البيت، لحديث حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه – رضي الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: "أن تطعمها إذ طعمت وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت" [33]، ومدة الهجر لا تزيد على ثلاثة أيام لحديث أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام" [34]. فإن لم ينفع ذلك معها جاز له ضربها ضربا غير مبرح بسواك أو بمنديل ملفوف، لا بسوط ولا بعصا أو نحوه" [35] والسواك كما لا يخفى دقيق قصير، طوله غالبا طول القلم، عن عطاء قال: "قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: السواك وشبهه بضربها به" [36]، ويحرم عليه ضرب الوجه والمقاتل، لحديث حكيم بن معاوية السابق، قال تعالى: (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا) [النساء: 34]، قال ابن كثير – رحمه الله تعالى –: "وقوله تعالى: (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله

---

[31] رواه البزار والطبراني في الأوسط (1445) وإسنادهما حسن، مجمع الزوائد 10 / 353 .
[32] رواه البخاري (3065).
[33] رواه أحمد (20036) وأبو داود (2142) والنسائي في الكبرى (11431) وحسنه النووي في رياض الصالحين (277).
[34] رواه البخاري (5718) ومسلم (2559) .
[35] انظر: كشاف القناع 5 / 210 .
[36] رواه ابن جرير 5 / 68، وانظر: الدر المنثور 2 / 523 .

له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها، وقوله: (إن الله كان عليا كبيرا) تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وليهن، وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن" ا.هـ [37]، فإن تلف من الزوجة شيء بسبب الضرب ضمن ما وقع منه لتبين أنه إتلاف لا إصلاح.[38]

ثالثا: أنه يحرم على الزوج ضرب زوجته ظلما بلا سبب ولو كان الضرب يسيرا، فالظلم ظلمات يوم القيامة، قال ابن جرير – رحمه الله تعالى –: "إنه غير جائز لأحد ضرب أحد من الناس ولا أذاه إلا بالحق، لقول الله تعالى: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغيرما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) [الأحزاب: 58] سواء كان المضروب امرأة وضاربها زوجها أم كان مملوكا أو مملوكة وضاربه مولاه، أو كان صغيرا وضاربه والده أو وصي والده وصاه عليه" ا.هـ [39]. وقال تعالى: (ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) [البقرة: 231] فقد نهى الرجل عن الإضرار بمطلقته، فكيف بزوجته.

رابعا: أن يقصد الزوج من ذلك تأديبها وتقويمها، لا التشفي والانتقام منها.

خامسا: أنه لا يحل له ضربها أكثر من عشر ضربات بحال من الأحوال، لحديث أبي بردة الأنصاري – رضي الله عنه – قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تجلدوا فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله".[40]

سادسا: أن التأديب متى كان في الحدود المشروعة آتى أكله، ولا يصح تسميته عنفا أسريا أو انتهاكا لحقوق الإنسان، أما لو تجاوز الحدود الشرعية، فهو محرم شرعا، وسمه ما شئت بعد ذلك، عنفا أسريا أو غير ذلك.

سابعا: أن الترفع عن الضرب، أفضل وأكمل، إبقاء للمودة [41]، حتى مع وجود الداعي له، لحال النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه ما ضرب خادما ولا امرأة.

قال شريح – رحمه الله تعالى –:

رأيت رجالا يضربون نساءهم ... فشلّت يميني حين أضرب زينبا
وزينب شمس والنساء كواكب ... إذا طلعت لم تبق منهن كوكبا [42]

---

[37] تفسير ابن كثير 1 / 493 .
[38] شرح زبد ابن رسلان 1 / 259 .
[39] تهذيب الآثار مسند عمر بن الخطاب 1 / 418 .
[40] رواه البخاري (6458) ومسلم (1708) .
[41] الفروع 5 / 258، المبدع 7 / 215، كشاف القناع 5 / 210 .
[42] تاريخ دمشق 23 / 52 ، سير أعلام النبلاء 4 / 106، الطبقات الكبرى 6 / 143 .

ثامنا: أنه لا يحل للرجل أن يضرب زوجته إن استدعى الأمر ذلك أيام أطفالها أو غيرهم، لكون ذلك زيادة في التأد يب، لم يأذن بها الشارع، وينتج عن ذلك أمور لا تحمد عقباها.

تاسعا: أنه – في رأيي – لا يحل للرجل أن يضربه زوجته في حال الغضب ولو مع وجود ما يستدعي ضربها، لكونه والحال هذه سيتجاوز الحد المأذون به.

فإن امتثل الزوج ذلك فإنه لا يسأل عن ضربه زوجته، ويحمل عليه حديث عمر – رضي الله عنه – إن صح – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يُسأل الرجل، فيم ضرب امرأته؟"[43]. أما إذا تعسف الزوج وتجاوز حده في التأديب فإنه يقتص منه لزوجته بلا خلاف أعلمه.

ومما يحزن أن العنف الأسري ليس قاصرا على الزوج، بل امتد ليصدر من الزوجة ضد زوجها، وليس بالقليل، فقد سمعت المحامي الكويتي خالد العبد الجليل يقول: إن دراسة في الكويت أثبتت أن عشرين في المائة من الزوجات يضربن أزواجهن ضربا مبرحا !!

وهذا غيض من فيض، والموضوع بحاجة إلى تحرير وإيضاح وتفصيل ومناقشة الشبه التي يطرحها بعض المغرضين، ولعل ما ذكر ته يكون نواة لذلك.

وأخيرا: يجب على المسلم التأدب مع كلام الله تعالى، فلا يليق بمسلم أن يعترض على حكم من الأحكام التي أذن الله تعالى بها وهو الحكيم العليم بشُبه باردة وبمثل ذاك الكلام الذي يتكلم به كثير ممن لا خلاق لهم، بل الواجب على كل مسلم ومسلمة التسليم المطلق بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) [الأحزاب: 36]، وقال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر ب ينهم ثم لا يجدوافي أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) [النساء: 65]، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * *

---

[43] رواه أحمد (123) وأبوداود (2147) والنسائي في الكبرى (9168) وابن ماجه (1986) والطيالسي (47) وهو حديث ضعيف، قال ابن المديني – رحمه الله تعالى -: "فإن إسناده مجهول، رواه رجل من أهل الكوفة يقال له: داود بن عبد الله الأودي، لا أعلم أحدا روى عنه شيئا غير عبد الرحمن المسلي وهو عندي أبو وبرة المسلي" ا.هـ العلل لابن المديني 1 / 93.

آداب الصلاة

(5)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

54 – استحباب تحية المسجد بركعتين، وكراهة الجلوس بلا صلاة، واستحبابها في أي وقت دخل، عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس". [1]

55 – استحباب ركعتين للقادم من سفره في المسجد أول قدومه، عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدم من سفر إلا نهارا في الضحى، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه. [2]

56 – يشرع أن يصلي سبحة الضحى ركعتين، أو أربع ركعات، أو ثمان ركعات، يتخير ما شاء من هذه الصور الثلاث، كل هذا مشروع، عن معاذة أنها سألت عائشة كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى؟ قالت: أربع ركعات ويزيد ما شاء. [3]

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الضحى ثمان ركعات، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: ما أخبرني أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى إلا أم هانيء، فإنها حدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فصلى ثماني ركعات، ما رأيته صلى صلاة قط أخف منها غير أنه كان يتم الركوع والسجود. [4]

كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه أوصى أبا هريرة رضي الله عنه بركعتي الضحى كما يقول أبو هريرة: "أوصاني خليلي بثلاث، بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد. [5]

قال النووي: إن الضحى سنة متأكدة، وإن أقلهاركعتان، وأكملها ثمان ركعات وبينهما أربع أو ست كلاهما أكمل من ركعتين ودون ثمان. [6]

---

[1] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب تحية المسجد بركعتين الخ.
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب ركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه.
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة الضحى وان أقلها ركعتان.
[4] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة الضحى الخ .
[5] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة الضحى الخ .
[6] شرح صحيح مسلم 1 / 248 .

وأما ما صح عن ابن عمر أنه قال في الضحى: هي بدعة، فمحمول على أن صلاتها في المسجد والتظاهر بها كما كانوا يفعلونه بدعة، لا أن أصلها في البيوت ونحوها مذموم، أو يقال قوله بدعة أي المواظبة عليها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يواظب عليها خشية أن تفرض وهذا في حقه صلى الله عليه وسلم. [1]

57 – يُسنُّ أن يخفف سنة الصبح. عن عائشة أنها كانت تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتي الفجر، فيخفف حتى أني أقول هل قرأ فيهما بأم القرآن. [2]

58 – يستحب أن يقرأ في ركعتي سنة الفجر بعد الفاتحة بـ "قل يا أيها الكافرون" و "قل هو الله أحد"، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر "قل يا أيها الكافرون" و "قل هو الله أحد". [3]

كما يستحب أن يقرأ فيها "قولوا آمنا بالله الخ" و "قل يا أهل الكتاب تعالوا الخ" فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ فيهما هاتين الآيتين، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا" الآية التي في البقرة، وفي الآخرة منهما "آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون". [4]

59 – إن المستحب أن يصلي اثنتي عشرة ركعة تطوعا في يوم وليلة قبل الظهر أربعا، وركعتين بعدها، وبعد المغرب والعشاء ركعتين، وقبل الصبح ركعتين، فعن عبد الله بن شقيق قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تطوعه فقالت: كان يصلي في بيته قبل الظهر أربعا، ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلي ركعتين، ويصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر، وكان يصلي ليلا طويلا قائما وليلاطويلا قاعدا، وكان إذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ قاعدا ركع وسجد وهو قاعد، وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين". [5]

من صلى اثنتي عشرة ركعة في كل يوم وليلة وواظب عليها بنى الله له بيتا في الجنة. كما جاء في الحديث عن أم حبيبة تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من

---

[1] شرح صحيح مسلم 1 / 249 .
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب ركعتي سنة الفجر الخ.
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب ركعتي سنة الفجر الخ .
[4] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب ركعتي سنة الفجر الخ .
[5] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب جواز النافلة قائما وقاعدا الخ.

صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بهن بيت في الجنة، قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم.[1]

وقد وردت الأحاديث الصحيحة الكثيرة في فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، كما قال النووي، ففي حديث ابن عمر قبل الظهر سجد سجدتين، وكذا بعدها، وبعد المغرب والعشاء والجمعة، وزاد في البخاري قبل الصبح ركعتين، وهذه اثنتا عشرة. وفي حديث عائشة هنا أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وبعد المغرب وبعد العشاء وإذا طلع الفجر صلى ركعتين، وهذه اثنتا عشرة أيضا، وليس للعصر ذكر في الصحيحين، وجاء في سنن أبي داود بإسناد صحيح عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل العصر ركعتين، وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا. رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن.

وجاء في أربع بعد الظهر حديث صحيح عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار". رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وفي صحيح البخاري عن ابن مغفل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلوا قبل المغرب، قال في الثالثة لمن شاء".

وفي الصحيحين عن ابن مغفل أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة. المراد بين الأذان والإقامة.[2]

60 – إن الاضطجاع بعد سنة الفجر سنة لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه. رواه أبوداود والترمذي بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، قال الترمذي: هو حديث حسن صحيح.[3] قال الألباني رحمه الله: "صحيح" في صحيح سنن الترمذي (ح **420**) سنن أبي داود (ح **1146**).

[1] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل السنن الراتبة الخ .
[2] شرح صحيح مسلم 1 / 251 .
[3] شرح صحيح مسلم للنووي 1 / 254 .

61 – إ ن السنة جعل آخر صلاة الليل وترا، فعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل حتى يكون آخر صلاته الوتر. [1]

يجوز الإيتار في جميع أوقات الليل بعد دخول وقته، واختلفوا في أول وقته، فالصحيح في مذهبنا والمشهور عن الشافعي والأصحاب أنه يدخل وقته بالفراغ من صلاة العشاء، ويمتد إلى طلوع الفجر الثاني. [2]

62 – يستحب أن يستاك عند القيام من النوم. فعن زرارة قال في حديثه الطويل: "فقالت: – عائشة –: "كنا نُعِدُّ له سواكه وطهوره" [3] **الحديث.**

63 – من السنن إذا فات المرءَ قيامُ الليل بسبب غلبة النوم عليه، أو الوجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة.

فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة. [4]

قال النووي: " هذا دليل على استحباب المحافظة على الأوراد، وأنها إذا فاتت تقضى. [5]

64 – من السنة إذا عمل المرء عملا أثبته أي حافظ عليه، فعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملا أثبته. [6] **الحديث.**

65 – يستحب أن يسلم من كل ركعتين سواء كانت نوافل الليل أو النهار، عن ابن عمر حدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صلاة الليل مثنى مثنى. [7] **الحديث.**

وروى أبوداود والترمذي بالإسناد الصحيح: " صلاة الليل والنهار مثنى مثنى". [8]

---

[1] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم الخ.
[2] شرح صحيح مسلم للنووي: 1 / 255 .
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم الخ.
[4] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم الخ .
[5] شرح صحيح مسلم 1 / 256 .
[6] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم الخ.
[7] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم الخ.
[8] شرح صحيح مسلم للنووي: 1 / 257 .

قال النـووي: "هـذا الحـديث محمـول علـى بيـان الأفـضل، وهـو أن يـسلم مـن كـل ركعتين، وسواء نوافل الليل والنهار، يستحب أن يسلم من كل ركعتين، فلو جمـع ركعـات بتسليمة أو تطوع بركعة واحدة جاز عندنا". [1]

66 – إن تأخير الوتر إلى آخر الليل أفضل لمن وثق بالاستيقاظ، وأن من لا يثق بذلك فالتقديم له أفضل، وهذاهو الصواب.

فعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من خاف أن لا يقـوم مـن آخـر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل" [2] **الحديث.**

67 – يجدر بالمرء المسلم أن يعتني بالاشتغال بالدعاء والاستغفار آخـر الليـل، عـن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حـين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الـذي يـستغفرني فـأغفر لـه، فـلا يـزال كـذلك حتـى يـضيء الفجر. [3]

قال النووي: "وفيه تذبيه على أن آخر الليل للصلاة والدعاء والاستغفار وغيرهـا مـن الطاعات أفضل من أوله. [4]

(يتبع)

* * *

[1] شرح صحيح مسلم للنووي 1/ 257 .
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل الخ.
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم الخ.
[4] شرح صحيح مسلم 1 / 258 .

السير والتراجم

مؤلفات ومقالات
في سيرة الإمام البخاري رحمه الله

محمد بن ناصر العجمي / الكويت

الحمد لله فالق الإصباح، والصلاة والسلام على نبيه الداعي إلى الفلاح، ما ظهرت شمس وغاب قمر ولاح.

أما بعد:

فقد كانت النفس – ولا تزال – تتوق لتقديم أي خدمة للإمام البخاري – أسبغ الله عليه فواضل رحمته – في أي مجال حوله، فمنّ الله عليّ بتحقيق هذه الرسالة [1] الماثلة بين يدي القارئ والتي فيها نبذة من عيون أخباره، وشذرة عبقة من سيرته المباركة، وهي للحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقي.

هذا وقد سبق ابن ناصر الدين جماعة مـ ن العلماء في التأليف عن حياة البخاري رحمه الله، ولحقه كذلك آخرون، وأذكر في هذه التقدمة جملة منهم، ثم أذكر المصادر المترجمة له من كتب التراجم، والمقالات حوله:

1 – كتاب "شمائل البخاري"، وهو جزء ضخم لأبي جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري، وهو من مرويات الحافظ الذهبي، ذكره في "سير أعلام النبلاء" (12 / 392)، والسخاوي في "الجواهر والدرر" (294 / ب).

2 – "ترجمة البخاري"، لهبة الله بن جعفر المصري (ت 608 هـ)، مخطوط في الظاهرية بدمشق برقم 11483. انظر: "إتحاف القاري بمعرفة جهود العلماء على صحيح البخاري"، لمحمد عصام الحسيني ص 39.

3 – "أخبار البخاري"، لأبي الربيع الكلاعي (ت 634 هـ)، ذكره الذهبي في "السير" (23 / 136).

4 – "مناقب البخاري"، للحافظ شمس الدين الذهبي (ت 748 هـ)، ذكره في كتابه "تذكرة الحفاظ" (2 / 556) فقال: "قد أفردت مناقب هذا الإمام في جزء ضخم فيها العجب"، وذكره السخاوي في "الجواهر والدرر" في ترجمة ابن حجر (294 /ب نسخة المكتبة الوطنية بباريس 2105).

---

[1] يشير إلى رسالة الحافظ ابن ناصر الدمشقي "تحفة الأخباري بترجمة البخاري" والتي تم نشرها في صفحات المجلة في الأشهر الماضية. (المجلة)

5 – "ترجمة البخاري"، للإمام ابن الملقن (ت 804 هـ). ذكره السخاوي في "الجواهر والدرر" (294 / ب).

6 – "هدي – أو هداية – الساري لسيرة البخاري"، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 858 هـ). قال السخاوي: "في نحو كراسين وجدتها بخطه، وحدث بها قديما". ا هـ من "الجواهر والدرر" (241 / ب – نسخة أحمد الثالث 2891). [1]

وقد ترجم الحافظ للبخاري في مقدمة الفتح المسماة بـ "هدي الساري" من ص 477 – 493، فلعل الحافظ فيما بعد أودع ترجمة البخاري التي كانت مفردة في المقدمة المذكورة.

7 – "ترجمة البخاري"، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902 هـ)، انظر: "إتحاف القاري"، للحسيني ص 40.

8 – "ترجمة البخاري"، لعفيف الدين علي بن عبد المحسن ابن الدواليبي البغدادي الشامي الحنبلي، له نسخة في الظاهرية برقم 1076 في 27 ورقة بخط المؤلف.

9 – "الفوائد الدراري"، لإسماعيل بن محمد العجلوني، الجراحي (ت 1162 هـ)، صاحب "كشف الخفاء"، له نسخة في بنكيبور رقم 735، 47 ورقة، "تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان (3 / 164)، و "تاريخ التراث العربي" لفؤاد سيزكين (1 / 308).

10 – وقد ترجم له في كتابه الآخر: "إضاءة البدرين في ترجمة الشيخين"، وهو مطبوع في عمان – الأردن (1423 هـ).

11 – "رسالة في مناقب البخاري"، لأحمد بن علي البسكري، تلميذ العجلوني، له نسخة في بوهار، بالهند (4 / 454) في 13 ورقة. "تاريخ التراث" (1 / 308).

12 – "المسك الدراري في شرح ترجمة البخاري"، لعبد القادر الكوهن الهندي (ت 1254 هـ)، "إتحاف القاري" ص 40.

13 – "حياة البخاري"، لجمال الدين القاسمي الدمشقي (ت 1332 هـ)، طبع في صيدا، 1330 هـ، انظر: "تاريخ الأدب" (3 / 164).

14 – "مواهب الباري في مناقب مسلم والبخاري"، للسيد محمد النجاري العقبي الجزائري، "إتحاف القاري" ص 41.

15 – "الإمام البخاري"، لتقي الدين الندوي، طبع بدار القلم بدمشق، 1408 هـ ط. الثالثة.

---

[1] سقط من نسخة المكتبة الوطنية بباريس من كتاب "الجواهر والدرر" ما ذكره السخاوي عن مصنف شيخه الحافظ ابن حجر حول البخاري، وأثبته من نسخة أحمد الثالث.

16 – "الإمام البخاري محدثا وفقيها" ، تأليف الحسيني هاشم، طبع في بيروت بالمكتبة العصرية.

17 – "الإمام البخاري وصحيحه" ، للشيخ عبد الغني عبد الخالق، طبع في جدة بدار المنارة، 1405 هـ.

18 – "سيرة الإمام البخاري" ، لعبد السلام المباركفوري، طبع في الهند، بالجامعة السلفية، 1406 هـ.

19 – "البخاري والجامع الصحيح" ، لحسين عيسى عبد الظاهر، طبع في بيروت، المكتبة العصرية 1401 هـ.

20 – "الإمام البخاري حياته ومنهجه في صحيحه" ، تأليف علي أبو بكر، من مطبوعات التمدن الإسلامي دمشق (1379 هـ).

21 – "الإمام البخاري فقيه المحدثين ومحدث الفقهاء" ، نزار الحمدان، بغداد (1409 هـ).

وأما المصادر المترجمة له ضمنا فهي:

1 – "الجرح والتعديل" ، لابن أبي حاتم (7 / 191).

2 – "مقدمة الكامل" ، لابن عدي (1 / 140) ، وأسامي من روى عنهم البخاري له (92 / أ – 94 ب).

3 – " تاريخ مولد العلماء ووفياتهم" ، لابن زبر (2 / 564).

4 – "الفهرست" ، لابن النديم ص 321.

5 – "الإرشاد" ، لأبي يعلى الخليلي (3/ 958 – 966).

6 – "تاريخ بغداد" ، للخطيب البغدادي (2 / 4 – 33).

7 – " التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح" ، لأبي الوليد الباجي (1 / 307 – 311).

8 – "الإكمال" ، لابن ماكولا (1 / 259).

9 – "تقييد المهمل وتمييز المشكل" ، لأبي علي الغساني (6 / أ – 17 – نسخة أوقاف بغداد – فك الله أسرها – 1060).

10 – "طبقات الحنابلة" ، لابن أبي يعلى (1 / 271 – 279).

11 – "الأنساب" ، للسمعاني (2 / 107).

12 – تاريخ دمشق" ، لابن عساكر (15 / 38 / ب – 54 / ب).

13 – "جامع الأصول" ، لمجد الدين ابن الأثير (1 / 186).

14 – "اللباب" ، لعز الدين ابن الأثير (1 / 125) ، والكامل له (5 / 360).
15 – "أسامي شيوخ البخاري" ، للصغاني (2 / ب – 4 / ب – نسخة حلبي بتركيا).
16 – "تهذيب الأسماء واللغات" ، للنووي، الجزء الأول من القسم الأول ص 67 – 76 .
17 – "وفيات الأعيان" ، لابن خلكان (4 / 188 – 191).
18 – "تهذيب الكمال" ، للمزي (24 / 430 – 467).
19 – "سير أعلام النبلاء"، للذهبي (12 / 391 – 471)، والعبر له (2 / 12 – 13)، و "تذكرة الحفاظ" له (2 / 555 – 557)، والإشارة إلى "وفيات الأعيان" له ص 126، و "الإعلام بوفيات الأعلام" له ص 114.
20 – "الوافي بالوفيات" لصلاح الدين الصفدي (2 / 206 – 209).
21 – "مرآة الجنان" ، لليافعي (2 / 167)
22 – "طبقات الشافعية" ، للسبكي (2 / 212 – 241).
23 – "البداية والنهاية" ، لابن كثير (11 / 24 – 28).
24 – "طبقات الشافعية" ، لابن قاضي شهبة (1 / 40 ، 41).
25 – "تهذيب التهذيب" ، لابن حجر (9 / 47 – 55).
26 – " التوضيح لشرح الجامع الصحيح" ، لابن الملقن (2 / 45).
27 – "هدي الساري" له، من ص 477 – 493 .
28 – "النجوم الزاهرة" ، لابن تغري بردي (3 / 25، 26).
29 – "المقصد الأرشد" ، لابن مفلح الحنبلي (2 / 375).
30 – "طبقات الحفاظ" ، للسيوطي ص 248، 249.
31 – "إرشاد الساري" ، للقسطلاني (2 / 41 – 61).
32 – "طبقات المفسرين" ، للداودي (2 / 104 – 108).
33 – "مفتاح السعادة" ، لطاش كبري زادة (2 / 130).
34 – "شذرات الذهب" ، لابن العماد (2 / 134 – 136).
35 – "هدية العارفين" ، للبغدادي (2 / 16).
36 – "الأعلام" (6 / 34)، للزركلي.
37 – "معجم المؤلفين" ، لرضا كحالة (9 / 52، 53).
38 – "تاريخ الأدب" لبروكلمان (3 / 164).

* * *

وأما المقالات التي كتبت في المجلات العلمية عن البخاري فكثيرة، منها:

1 – "البخاري" ، لطه حبيب، مجلة نور الإسلام، العدد 7 – رجب 1352 هـ ص 488 – 491 .

2 – "الإمام البخاري"، لمحمود النواوي، مجلة الأزهر مجلد 21، محرم 1369 هـ ص 45 – 50 .

3 – "مطالعات في السيرة" إبراهيم العياشي، مجلة المنهل، العدد 4 ربيع الآخر 1388 هـ، ص 569، 573.

4 – "الإمام البخاري محدثا وفقيها" ، تحسين عبد الحي، الأزهر عدد 2 صفر 1386 هـ، ص 249 – 251 .

5 – "البخاري المفترى عليه" ، محمد نجيب المطيعي، الأزهر عدد 5 رجب 1395هـ، ص 530 – 538 .

6 – "البخاري كاتب وكتاب" محمد مذكور، الوعي الإسلامي، عدد 163، رجب 1398 هـ، ص 44 – 51.

7 – "من أئمة المحدثين: الإمام البخاري" الحسيني هاشم، الأزهر عدد 6 جمادى الآخرة 1401 هـ، ص 1052 – 1058 .

8 – "البخاري في ذكراه"، محمد علي ضناوي، مجلة الأمة بقطر، عدد 22 شوال 1402 هـ، ص 49 – 51 .

9 – "مواقف في حياة الإمام البخاري" ، شرف الدين الراجحي، مجلة الهداية بالبحرين، عدد 101، رجب 1406 هـ، ص 20 – 23 .

10 – حياة الإمام البخاري، للدكتورة كريمة المزودي، مجلة السنة في جمعية البخاري عدد (4) بالمغرب.

11 – مؤلفات الإمام البخاري للدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم. المجلة السابقة.

* * *

قضية الانتحال في الشعر العربي

(2)

وسيم المحمدي / المدينة المنورة

القسم الثاني: نظرية الانتحال عند الباحثين العرب:

إنّ أوّل من تناول هذه القضية من الباحثين العرب الأديب مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب" سنة (1911م)، وقد ذكر ما قاله القدماء، وتابع ابن سلام في آرائه دون غلو أو شطط، كما أضاف بعض الأشياء في جانب أسباب الوضع، وهي تنحصر فيما فعله بعض اللغويين والنحاة في شعر الشواهد، والقصاص في أخبارهم، وما اقتضاه التزيد في الأخبار والاتساع في الرِّواية[1].

ولم تقتصر جهوده على ذلك في هذه القضية؛ بل أحسن منه وأكثر ما واجه به الدكتور طه حسين، فرد عليه وكشف عواره، وبيّن تناقضاته، ووهنه في القضية، وذلك عبر المقالات التي نشرها في الرد عليه، وهي تتسم بجمال السخرية وجلال الأسلوب، وتنم عن مقدرة الرافعي العلمية وحبه لهذه اللغة العربية.

ثم تناول الدكتور طه حسين هذا الموضوع في كتابه "في الشعر الجاهلي" و"في الأدب الجاهلي"، فخرج بقوله المشهور: " إن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثّل حياة الجاهليين. وأكاد لا أشك في أن ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا، ولا يدل على شيء ...، ولا أضعف عن أن أعلن إليك وإلى غيرك من القراء أن ما تقرؤه على أنه شعر امرئ القيس أو طرفة أو ابن كلثوم أو عنترة ليس من هؤلاء الناس في شيء، وإنما هو انتحال الرواة، أو اختلاق الأعراب، أو صنعة النحاة، أو تكلف القصاص، أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين"[2].

وقد قسم طه حسين كتابه "في الشعر الجاهلي" إلى ثلاثة أقسام:

[1] ينظر: تاريخ آداب العرب 294/1 وما بعدها.

[2] في الشعر الجاهلي ص 16.

1. دوافع الشك في الشعر الجاهلي[1].
2. أسباب الوضع والانتحال[2].
3. دراسة تطبيقية لبعض الشعراء والشك في شعرهم[3].

فأما القسم الأول – وهو دوافع الشك – فقد ذكر فيه أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين، وأن هذا الشعر بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الجاهلي؛ لأن هناك خلافا قويا بين لغة حِمير ولغة عدنان، وأن القبائل الشمالية والقبائل الجنوبية تختلف من حيث اللهجة، مع أن الشعر الذي وصلنا جاء بلهجة واحدة [4].

وأما القسم الثاني فتحدّث فيه عن أسباب الانتحال، فأرجعها إلى خمسة أمور[5]:

1. السياسة، ويعني بها: العصبية القبلية.
2. الدين.
3. القصص والأخبار.
4. الشعوبية.
5. الرواة الوضّاعون، سواء كانوا من الحضر أو الأعراب الذين ذهب إليهم العلماء ليأخذوا منهم اللغة.

وأما القسم الثالث فجعله دراسة تطبيقية عن بعض الشعراء كامرئ القيس، وذهب إلى أن هذا الشعر لا يمثل لغة امرئ القيس ولهجته[6].

ومن هنا نلاحظ أن شبهات طه حسين في صحة الشعر الجاهلي تدور حول نقطتين:

1. عدم تصوير الشعر الجاهلي الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والعقلية للجاهليين.
2. عدم تمثيل هذه اللغة اللهجات الموجودة عند العرب الجاهليين، ومجيئها على لهجة واحدة وهي لهجة قريش.

---

(1) ينظر: في الشعر الجاهلي ص 11-45.
(2) ينظر: في الشعر الجاهلي ص 47-118
(3) ينظر: في الشعر الجاهلي ص 119-175.
(4) ينظر: في الشعر الجاهلي ص 31-45.
(5) ينظر: في الشعر الجاهلي ص 51-118.
(6) ينظر: في الشعر الجاهلي ص125-142.

والحقيقة أن هذه الأفكا ر لم تكن في أصلها من بنات أفكار طه حسين، ولكن سلخها من المستشرقين أمثال بلاشير ومرجليوث قبله سلخا، وقد اعتمد على آخر الذكر اعتمادا كبيرا، فأعاد آراءه من جديد، وصاغه في صياغة جديدة لا غير.

وإذا تأملنا في هذه الشبهات وجدناها في غاية الوهن لا تقوم أمام الحقيقة والواقع أبدا.

فأما الشبهة الأولى – وهي عدم تصوير الشعر الجاهلي الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية – ، فقد سبق الرد عليها مفصلا في الرد على أفكار مرجليوث وشبهاته.

وأما الشبهة الثانية – وهي عدم تمثيل لغة الشعر الجاهلي اللهجات الموجودة عند الجاهليين من القحطانيين والعدنانيين — فنقول:

أولا: قد جاءت أشعار كثيرة وأبيات تمثل لنا اللهجات الموجودة عند الجاهليين، وهي مبثوثة في كتب اللغة والنوادر والأمالي والمعاجم العربية بشكل لافت، وعلى هذا أقام العلماء الذين درسوا اللهجات العربية دراستهم.

ثانيا: يعرف من عنده أدنى إلمام بتاريخ الأدب العربي واللغة العربية أنه توفرت عوامل عدة قبل نزول القرآن من العوامل السياسية والاقتصادية والدينية والأدبية وغيرها أدت إلى تكوين لهجة واحدة تمثل أدبهم وشعرهم، وهي لهجة قريش، فقالوا أشعارهم في هذه اللهجة السائدة في جزيرة العرب، وإن كانت اللهجات الأخرى تستخدم في المخاطبات العامة وكانت سائدة فيها، إلا أن لغة الأدب توحدت في لهجة واحدة، ومع هذا فإن الأبيات التي تمثل اللهجات العربية ليست قليلة، إلا أن غالب أشعارهم جاءت في لهجة قريش لسيادتها وقيادتها جميع اللهجات الموجودة آنذاك.

والحقيقة أيضا أن شبهات طه حسين في الشعر الجاهلي، وإن كانت بعيدة عن الحق فهي مردّدة يرددها الخلف عن السلف، وهي وإن كانت مسلوخة من آراء المستشرقين السابقين إلا أنها أثارت ضجة كبيرة في الساحة الأدبية، وأثارت حفيظة العلماء الغيورين على هذا الدين، فانبرى من العلماء والكتّاب من يرد عليه في مناقشة علمية محكمة وموضوعيّة، ومن أهم هذه الكتب: نقض كتاب "في الشعر الجاهلي" لمحمد الخضر حسين، والشهاب الراصد لمحمد لطفي جمعة، والنقد التحليلي لكتاب "في الأدب الجاهلي" لمحمد أحمد الغمراوي.

فكشفوا عن حقيقة هذه القضية ووهن شبهات المستشرقين ومن شاكلهم، وبيّنوا الصواب فيها، كما أشاروا إلى الخطورة التي تكمن في رد الشعر الجاهلي وجعله منحولا مختلقا.

ولما لم تكن هذه الأفكار التي تبنّاها الدكتور طه حسين من بنات أفكاره، ولم تكن حقيقة ثابتة واقعية تثبت أمام الحق؛ ما ثبت طه حسين على أفكاره التي نشرها "في الشعر الجاهلي" ، وموقفه الذي صرّح به فيه، وأعلن عنه بكل جرأة وحماس.

فقد نشر "في الشعر الجاهلي" في سنة (1926م)، وما جاءت السنة (1935م) إلا بدأ يمجّد الشعر الجاهلي، والشعراء الجاهليين، ويشير إلى ما في كلامهم من بلاغة وجمال وروعة وجلال، وبدأ يرجع سبب عدم استيعاب كلامهم حق الاستيعاب إلى القصور الموجود في نفوس القارئين.

فقد بدأ في يناير 1935م ينشر في جريدة الجهاد مقالات انتهى منها في 22 مايو سنة (1935م)، كان محصّلها رجوعا صريحا عن ادعائه الأوّل في سنة (1926م) الذي أعلنه في الشعر الجاهلي[1]، وهو قوله: " إن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين، وأكاد لا أشك في أن ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدا، لا يمثل شيئا، ولا يدل على شيء ... إلخ"[2].
ونجد ذلك كلَّه في كتابه "حديث الأربعاء"[3].

ولكن! وإن رجع الدكتور طه حسين عن آرائه فقد أثار ضجة كبيرة في الساحة الأدبية، وأضرّ بأفكار الناشئة الذين تلقوا عن الدكتور في المرحلة الجامعية، وكبروا متأثرين بما قاله في (1926م)، ودخلوا ميدان الصحافة والنشر، فنشروا أفكارا خطيرة تنادي برفض القديم والإعراض عنه والاستخفاف به، باسم التجديد والتثقيف، وعندئذ – كما يقول العلامة محمود شاكر – أحسّ الدكتور طه حسين نفسه بالخطر، وهو الذي أضاء لهم الطريق بالضجة التي أحدثها كتابه "في الشعر الجاهلي"، وهذا الإحساس هو الذي جعله ينظر فيما قاله، ويرجع عن آرائه الكثيرة التي ردّدها في الشعر الجاهلي[4].

([1]) ينظر: حديث الأربعاء 1/9 0الهامش)، والمتنبي ص 30.
([2]) في الشعر الجاهلي ص 16.
([3]) الكتاب عبارة عن مجموع مقالات تم نشرها في جريدتي السياسة والجهاد من قبل الدكتور طه حسين.
([4]) ينظر: المتنبي ص 29–30.

يقول العلامة محمود شاكر – رحمه الله –: "قد بينت في بعض مقالاتي أن الدكتور طه قد رجع عن أقواله التي قالها في الشعر الجاهلي، بهذا الذي كتبه، وببعض ما صارحني به بعد ذلك، وصارح به آخرين من رجوعه عن هذه الأقوال. ولكنه لم يكتب شيئا صريحا يتبرأ به مما قال أو كتب. وهكذا كانت عادة "الأساتذة الكبار"! يخطئون في العلن، ويتبرؤون من خطئهم في السر!!. [1]

قضية الانتحال والعلامة محمود شاكر – رحمه الله تعالى –:

لقد بذل العلامة محمود شاكر رحمه الله جهودا جبارة في الدفاع عن العربية، ومن ضمنها ما قدّم في قضية الشعر الجاهلي بالعموم، وفي قضية الانتحال بالخصوص، ونركّز هنا على ما قدّمه في قضية الانتحال من جهود مخلصة من خلال أمور:

أولا: ما واجه به الدكتور طه حسين، وذلك حينما بدأ الدكتور طه حسين يلقي محاضراته التي عرفت بكتاب "في الشعر الجاهلي"، وبيّن الصواب أمام الطلاب، وناقش الدكتور ما استطاع أن يناقش، وكشف عن عواره وأخطائه فيما يقوله، وكل ذلك مع هيبة طه حسين التي دخلت في نفسه[2].

ثانيا: ما كتبه في كتابه "المتنبي" الذي نشره في سنة (1936م) في مجلة المقتطف كاملا، فقد كشف فيه عن أشياء كثيرة تتعلق بهذه القضية، وذكر ما حصل بينه وبين الدكتور طه حسين في أيام الدراسة، وأشار إلى أمور هامة، منها:

1. أن أفكار طه حسين وأمثاله المتعلقة بالشعر الجاهلي ليست إلا مجرد سطو على أفكار المستشرقين قبلهم، ولا سيما مرجليوث الذي سطا الدكتور طه حسين على آراءه سطوا[3].

2. إن اعتماد الدكتور على ديكارت في قضية المنهج والشك ليس بواقعي، وإنما قصده التهويل بذكر ديكارت، وإلا فهو مخالف لما هو عليه ديكارت أيضا[4].

([1]) المتنبي ص 31 (الهامش).

وما أروع هذا الكلام وأدقه وأنسبه وأحقه وألصق بمن هذه طبيعتهم في الخطأ والإنابة، حيث يصرون على أخطائهم في المجالس لتحقيق بعض مآربهم الدنيئة وشهواتهم البهيمية، ويتبرؤون منها في الخلوة معترفين بأخطائهم. فتراهم متكبرين متعاظمين متعالين متعالين في المجالس، متواضعين منكسرين في الخلوة، وما أكثرهم في هذا الزمن!!!.

([2]) ينظر: المتنبي ص 13-17.

([3]) ينظر: المتنبي ص 14-17.

([4]) ينظر: المتنبي ص 14.

3. إن السطو الذي قام به الدكتور طه حسين قد عرفه بعض المستشرقين، ولكنهم كانوا يداورون، ولا يصرّحون بالحقيقة[1].

4. ذكر رحمه الله بما قام به الدكتور طه حسين من إفساد ومضرات لحقت بالجيل الناشئ[2].

5. ذكر عدم اقتناع الدكتور طه حسين بأفكاره التي أخذها من مرجليوث، ورجوعه عن كثير من أفكاره، ولاسيما فيما يتعلق بالشعر الجاهلي وانتحاله، كما ذكر مصارحته به معه أكثر من مرّة[3].

ثالثا: دراسته القيمة التي قدّمها من خلال كتابه "قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام"[4].

وهي دراسة قيمة نادرة فذّة قدمها العلامة لقراء العربية، وقد نشر فيها أفكارا ومعلومات لم تنشر من قبل، فهي جديرة بالقراءة والدرس والنظر والتأمل.

وأهم ما قدّمه العلامة في هذا الكتاب مما يتعلق بقضية الانتحال ما يأتي:

1. إن الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا ثلاثة أنواع[5]:

الأول: نوع سليم صحيح مبرأ من الأخطاء يعرفه أهل العلم والرواية الصحيحة عن أهل البادية، وهو قائم على حياله في هذه الكتب.

الثاني: شعر صحيح يعرفونه أيضا، ولكنه خلط بغثاء مصنوع ليس بشعر، وإنما هو كلام مؤلف معقود بقواف.

الثالث: غثاء مصنوع ليس بشعر، كثير لا خير فيه.

2. أقام بعض عبارات ابن سلام في قضية الانتحال، وأصلح ما أفسده التعبير، وبين سببه وعلته[6].

3. صرّح بأن الشعر الجاهلي وصل كما هو مبرأ من الأخطاء، وذلك إلى نهاية القرن الأوّل من الهجرة[1].

([1]) ينظر: المتنبي ص **18-19**.

([2]) ينظر: المتنبي ص **28-30**.

([3]) ينظر: المتنبي ص **30-31**.

([4]) هذا الكتاب في الأصل محاضرة ألقاها العلامة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام **1975**م، وقد تولت مجلة العرب نشرها في العام نفسه، ثم قام ابن العلامة فهر محمود شاكر بنشرها ككتاب في سنة **1997**م.

([5]) ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص **78-80**.

([6]) ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص **79-80**.

4. ذكر اهتمام ابن سلام بالبصريين في ذكر علماء اللغة ورواتها[2].

5. ذكر دقة الرواة وأمانتهم وما أعطوا من الذوق الذي بمجرده كانوا يفرقون بين مراتب الكلام، ومثل هؤلاء لا يخفى عليهم المنحول من الشعر أبدا[3].

6. أنكر على ابن سلام قوله بأن المسلمين انشغلوا عن الشعر بالغزو والجهاد[4].

7. صرّح بالدليل القاطع بأن العرب في العصر الذي نزل فيه القرآن كان عندهم من الشعر القديم المعرق، ومن الشعر المحدث في زمانهم، وقبيل زمانهم بقليل؛ قدر لا يمكن تحديده أو حصره من هذا الشعر، وكان هذا القدر الوافر البليغ الوفرة ذائعا على الألسنة في هذه الجزيرة العربية من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها، ومن أبعد شرقها إلى أبعد غربها، وأن هذا الشعر كان ملءَ أيامهم ولياليهم وساعاتهم، يتناشدونه في كل منـزل، ويتمثلونه عند كل موقف ومَيْسِر، ويتذوقونه تذوقا بصيرا مرهفا؛ ويفضلون بعضه على بعض بما اكتسبوا من القدرة على هذا التذوق الفاصل بين أدق درجات البيان على اختلافها وتنوعها[5].

8. ركّز على التذوق المرهف الموجود عند الذين مارسوا هذه اللغة الفصيحة البليغة العالية، وجعله أكبر شيء به كان الممارسون بهذه اللغة يعرفون المنحول من غيره[6].

9. بيّن أن الشعر الجاهلي السليم المبرأ من العيب ظلّ محفوفا بالكرامة والصدق حتى تلقاه العلماء بالشعر إلى أواخر المئة الأولى من الهجرة، وكان قبل أن تفتح أبواب العلوم العربية في عهدها المبكر منصوبا للتذوق البصير لأعلى البيان الإنساني وأسناه، وكان الناس يتلقونه جوادا سابقا[7].

10. لم يكن نزول القرآن العظيم داعيا إلى هجر شعر الجاهلية؛ بل كان حافزا مثبّتا لهذا الشعر في النفوس بتكرار الذوق والتأمل، وبالمقايسة بين بعضه وبعض، وبينه وبين ما طوبعوا بأن يتبيّنوا أنه كلام الله المفارق لكلامهم ولكلام البشر[8].

---

[1] ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص 121.
[2] ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص 84-89.
[3] ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص 89-121.
[4] ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص 92-93.
[5] ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص 98.
[6] ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص 95-103.
[7] ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص 122.
[8] ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص 113.

11. كل صحابي خرج من الجاهلية إلى الإسلام لم يخرج إلى إسلامه إلا بعد أن استوعب بهذا التذوق النافذ العميق قدرا هائلا من علم الكتاب المنـزّل حين تهدّم الحاجز الكثيف، فانكشف له أن هذا الكتاب كلام الله المباين لكلام البشر(1).

12. صرّح رحمه الله بعراقة الشعر الجاهلي وأصالته، وكونه كمقياس يعرف بممارسته وتذوقه فضل كتاب الله على كلام البشر من الفصحاء والبلغاء، وأثبت ذلك بالأدلة القاطعة(2).

رابعا: ما كتبه في المقالة السابعة التي نشرها في مجلة "المجلة" بعنوان "نمط صعب ونمط مخيف" في عامي (1969_1970م) (3).

وأهم ما سجل فيها مما يتعلق بقضية الانتحال ما يأتي:

1- لم يكن مرجليوث أوّل من أثار مسألة التشكك في بعض الشعر الجاهلي، بل سبقه طائفة من المستشرقين في ذلك(4).

2- لسخافة كلام مرجليوث وضعف ما استند إليه في حكمه على الشعر الجاهلي بالنحل والوضع ردّ عليه بعض بني جلدته من أمثال لايل وأربري بكل جرأة وقوة في أسلوب الاستهزاء والسخرية، حتى سماه الأول نزوة من نزوات الأوهام، وسماه الثاني السفسطة والغش والخيانة(5).

ولذلك قال الدكتور: "وأما أنا، فإني لا ألخص كلام مرجليوث، ولا أرد عليه؛ لأني أوثر أن لا أناقش الجثث التي ليس لها في علمنا أصل ولا فرع، وقد تركته بني جلدته شِلوا ممزَّعا. (6)

3- أعاد الدكتور طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" ما قاله مرجليوث في مقاله "أصول الشعر العربي". (7)

---

(1) ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص **115**.

(2) ينظر: قضية الشعر الجاهلي ص **118-123**.

(3) ينظر: نمط صعب ونمط مخيف ص **323-379**.

(4) ينظر: نمط صعب ونمط مخيف ص **370**.

(5) ينظر: نمط صعب ونمط مخيف ص **370-371**.

(6) ينظر: نمط صعب ونمط مخيف ص **372**.

(7) ينظر: نمط صعب ونمط مخيف ص **374**.

4- أحدث الدكتور طه حسين ضجة كبيرة بإصداره كتابه "في الشعر الجاهلي"، وتداوله الناس، وزلزلت الأرض زلزالها، وتقوضت صروخ، ولم تزل تتقوض إلى يومنا هذا.[1]

5- ذكر رحمه الله الآثار السيئة التي ترتبت على تبني الدكتور طه حسين منهج ديكارت الفلسفي "منهج الشك" للبحث عن حقائق الأشياء.[2] والحقيقة أنه كان مغالِطا فيه، وما أراد بذكر ديكارت الفيلسوف إلا تفخيما وتهويلا.[3]

6- ذكر رحمه الله ندامة طه حسين على ما صدر منه، وتحسره بعد ما رأى ما رأى من أضرار لحقت بالجيل الناشئ، وبالتالي رجوعه عن كثير من آرائه التي نشرها في بداية أمره في القضية.[4]

خطورة هذه القضية:

تكمن خطورة هذه القضية وعظم أمرها في أمور كثيرة، منها:

1. في صلته بالقرآن الكريم وإعجازه.
2. في صلته بالقواعد والضوابط التي وضعت على أساسها.
3. في صلته بالمعاني والدلالات التي أقيمت عليها.
4. في صلته بجميع الدراسات التي أقيمت على أساسها.

فإن اعترفنا بأن الشعر الجاهلي منحول ومصنوع ليس فيه شيء من الجاهلية؛ ذهب المقياس الذي يقاس به إعجاز القرآن الكريم، ويفاضل بينه وبين كلام البشر، وذهب الكلام الذي هو أساس التذوق الذي مارسه الذين شاهدوا نزول القرآن، فانبهروا ببلاغته وإعجازه، وعرفوا الفرق بينه وبين كلامهم معتمدين على ذوقهم الذي صقلوه بالشعر الجاهلي، وبالمفاضلة بين بعضه.

فإن أُنكر ذلك ذهب الأساس الذي قامت عليه كثير من الأمور المتعلقة بإعجاز القرآن الكريم، من التذوق والمفاضلة والبلاغة والفصاحة...إلى آخره.

كذلك مع إنكاره تصبح القواعد والضوابط التي وضعت على أساسها بلا أساس وركن تعتمد عليه، وتصبح المعاني والدلالات التي أقيمت عليها في فهم الكتاب والسنة وفهم كلام

---

[1] ينظر: نمط صعب ونمط مخيف ص 373.
[2] ينظر: نمط صعب ونمط مخيف ص 375-376.
[3] ينظر: المتنبي ص 14.
[4] ينظر: نمط صعب ونمط مخيف ص 376-379.

العرب مجرد دعوى بلا دليل، وكذلك الحال في جميع الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية المعتمدة على الشعر الجاهلي؛ ستصبح لا قيمة لها ولا حقيقة.

ولعلّ لهذه الأمور الهامة العظيمة الخطر تعمّد المستشرقون إثارة شبهات حول الشعر الجاهلي، ومحاولة التشكيك في أساسه!!.

خلاصة القول في هذه القضية:

ونستخلص بهذا كله إلى أن الانتحال دخل الشعر الجاهلي لأجل أسباب توفرت، إلا أن الشعر المنحول لم يكن في كثرته كما ظنه بعض المستشرقين ومن شاكلهم؛ بل هو قليل بالنسبة للصحيح السليم الموجود، وقد عرفه العلماء أمثال أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي والأصمعي وغيرهم، فميّزوا السقيم من الصحيح، والضعيف المنحول من غيره.

وأما نظرية الانتحال والطعن في الشعر الجاهلي عامة فهو من ضمن مساوئ وسلبيات قام بها المستشرقون في دراساتهم وبحوثهم، وإن التشكيك في التراث العربي بالطعن في أصوله هدف يريد هؤلاء من ورائه الوصول إلى الطعن في القرآن الكريم والتشكيك فيه؛ لأنه ينبني على هذه النظرية الطعن في إعجاز القرآن الكريم؛ فإن في إنكار الشعر الجاهلي والأدب الجاهلي إنكارا لكون القرآن الكريم معجزة جاءت لتحدي العرب الذين برعوا في صناعة الكلام، واشتهروا بالبلاغة العالية، والفصاحة النادرة. فإذا وصلوا إلى هدم أساس إعجاز القرآن الكريم، وكونه من كلام الله المعجز، عمدوا إلى الطعن فيه مباشرة، "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون" [1].

وبما أن ربّ ضارة نافعة فقد كانت هذه النظرية فاتحة خير على الدراسات الأدبية العربية، حيث قامت جهود مباركة أثبتت توثيق الأدب الجاهلي بالمتن والسند، وأن هناك رواة ثقا ت أثبات بينوا الشعر الفاسد المصنوع، ووثقوا الشعر الصحيح، وعلماء أجلاء عدّلوا الثقات وشهدوا لهم بالدقة والعمق والأمانة، لقد كان إلى جانب أولئك الرواة الوضاعين رواة ثقات مشهود لهم بالدقة والتحرّي أمثال أبي عمرو بن العلاء الذي يقول عنه الجاحظ[2]: "فأما أبو عمرو بن العلاء فكان أعلم الناس بأمور العرب مع صحة سماع وصدق لسان.

([1]) الصف: 8.

([2]) البيان والتبيين 1/320-321.

حدّثني الأصمعي قال: جلست إلى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي"[1].

وهناك المفضل الضبي الكوفي، والأصمعي البصري، وقد رفض المفضل الضبي روايات حماد الراوية وبيّن أكاذيبه[2]، كما رفض الأصمعي روايات خلف الأحمر وبيّن أكاذيبه[3].

قال ابن سلام الجمحي: "وكان الأصمعي وأبوعبيدة من أهل العلم، وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي"[4].

ثم انظر إلى ما كان يحدث بين العلماء والشعراء من التحري والدّقة في أمر الشعر عموما، والشعر الجاهلي خصوصا، وما كان يتصف به أسلافنا من علم غزير وذوق مرهف يميزون به المنحول من غيره، ويفرقون بين كلام شاعر من آخره.

قال خلاد بن يزيد لخلف الأحمر: "بأي شيء تردّ هذه الأشعار التي تروى؟ قال له: هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه؟ قال: نعم. قال: أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك؟ قال: نعم. قال: فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت"[5].

وقال قائل لخلف: "إذا سمعت أنا بالشعر استحسنته فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك، قال: إذا أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه رديء فهل ينفعك استحسانك إياه"؟[6].

وقال أبو عبيدة : سمعت بشارا يقول – وقد أنشد في شعر الأعشى –[7]:

وأنكرتْني وما كان الذي نكِرت من الحوادث إلا الشَّيبَ والصّلعا

ينكره بشار أن يكون من شعر الأعشى، ويقول: هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى، فعجبت لذلك، فلما كان بعد هذا عشر سنين كنت جالسا عند يونس فقال: حدثني أبو عمرو بن العلاء أن هذا البيت مصنوع، فجعلت حينئذ أزداد عجبا من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر[8].

([1]) ينظر: قضية الانتحال ص 13-14.

([2]) ينظر: معجم الأدباء 140/4.

([3]) ينظر: مراتب النحويين ص 46-48.

([4]) طبقات فحول الشعراء 23/1.

([5]) طبقات فحول الشعراء 7/1.

([6]) طبقات فحول الشعراء 7/1.

([7]) والبيت موجود في ديوان الأعشى ص 104، وهذا شيء يثير العجب!!!.

([8]) ينظر: الأغاني 99/3-100.

وجاء في الروايات[1] أنه نشب الهجاء بين ذي الرمة وبين هشام المزني، وكاد هشام يُغلَّبُ عليه، حتى لقي يوما جريرا، فاستنشده هجاءَه هشام، فأنشده رائيته في هجائه، فلما فرغ من إنشاده قال له جرير: ما صنعت شيئا، أأرفدك؟ قال ذو الرمة: نعم، فأرفده ثلاثة أبيات ختم بها قصيدته، وهي[2]:

يعدّ الناسبون إلى تَميم   بيوتَ المجد أربعة كبارا
يعدّون الرِّباب وآلَ سعدٍ   وعمرا ثم حنظلةَ الخيارا
ويهلِكُ بينها المرئيُّ لغوا   كما ألغيتَ في الدِّيةِ الحُوارا

فغلبه يومئذ ذو الرمة بهذه الأبيات الثلاث... ، ثم مرّ ذو الرمة بعد بالفرزدق فقال له: أنشدني أحدث ما قلت في المرَئيّ، فأنشده هذه القصيدة، فلما بلغ آخر الأبيات الثلاثة في ختامها أطرق الفرزدق ساعة ثم قال له: أعده، فأعاد، فقال له: كذبت، وأيم الله ما هذا لك! ولقد قالها أشد لَحْيَيْن منك! ما هذا إلا شعر ابن الأتان!، – يعني: جريرا –.

وأعجب من ذلك كلِّه وأروع ما أنقله لكم الآن:

(كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صديق يعرفه في الجاهلية كما يعرف الناس بعضهم بعضا، فلما بُعث على رأس الأربعين من عمره ناوأه قومه من قريش وسفهوه وآذوه. فقدم هذا الصديق القديم مكة يوما، فسمع الناس يتحدثون أن محمدا شاعر وكاهن ومجنون.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما فيما يرويه عنه الإمام مسلم في صحيحه[3]: "إنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وكان من أَزْدِ شَنُوءَةَ، وكان يَرْقِي من هذه الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ من أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فقال: لو أني رأيت هذا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ على يَدَيَّ.

قال: فَلَقِيَهُ، فقال: يا محمد إني أَرْقِي من هذه الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي على يَدِي من شَاءَ، فَهَلْ لك؟ فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، من يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:".

قال: فقال: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ! فَأَعَادَهُنَّ عليه رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

([1]) ينظر: العمدة في صناعة الشعر ونقده 1081/2، وقضية الشعر الجاهلي ص 60.
([2]) الأبيات في ديوان ذي الرمة ص 474 بتصرف يسير، وهي ليست في نهاية القصيدة!.
([3]) ينظر: الصحيح للإمام مسلم 593/2، رقم الحديث: (868).

قال: فقال: لقد سمعتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فما سمعتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ!.

قال: فقال: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ. قال: فَبَايَعَهُ. فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: وَعَلَى قَوْمِكَ؟ قال: وَعَلَى قَوْمِي...".

كلماتٌ قلائل تذوّقها ضِماد رضي الله عنه، ولم يصبر حتى يُتلى عليه بعضُ ما نُزِّل من القرآن يومئذ بمكة، وقطع الحديث ليستعيد ما سمع، ونحن اليوم نسمعها من كلّ منبر في كلّ يوم جمعة، ونحن في غفلة عن تذوّقها تذوّقَ ضِماد!.

كانت هذه الكلمات التي سمعها ضِماد يومئذ هي وحدها دليلَه على نبوة صديقه الذي كان يعرفه ويعرف كلامه بالأمس في الجاهلية؛ لأنه وصل بتذوقها إلى صميم الفرق بين كلام صاحبه بالأمس وكلامه في هذا اليوم، وأسرعت به إلى البيعة على الإسلام قبل أن يسمع كلام الله!.

فأيُّ دقّةٍ في التذوق!! وأيُّ رجال كان هؤلاء الذين فُوِّض إليهم التفريق بين كلام ربّ العالمين، وكلام عبيده من البشر!؟)[1].

هكذا كان أسلافنا المتذوّقون للكلام، المشتغلون بالشعر، وهكذا كانت أحوالهم مع الشعر وغيره من أساليب الكلام، وعلمهم به، وتذوقهم له، حتى وصل إلينا صحيحا سليما مميزا عن سقيمه ومنحوله، وشأنهم في ذلك كشأن أسلافنا المشتغلين بالحديث الشريف؛ كيف خدموه؟ فميزوه من ضعيفه وموضوعه، وبلّغوه إلينا صحيحا سليما مميَّزا.

أولئكَ آبائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إذا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ[2]

وهكذا هذه الأمة في التعلم والتلقي والأداء، وفي الكسب والأخذ والعطاء، يأخذ كل خلف عن سلفه يحفظه ويعيه، ويخدمه ويميز صحيحه من سقيمه، ثم يؤديه إلى من بعده كأمانة يسلمها إليه!.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

([1]) قضية الشعر الجاهلي ص 61-62.

([2]) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه ص 42/2.